

وأهله في مقابلة ما كان يذمه ، كما قال عبد الله بن الزبيري حين أسلم .

يارسول اللئيك إن لساني \* راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أجازى الشيطان في سنن النعي \* ومن مال ميله مشبور

وكذلك أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب كان من أشد الناس عداوة للنبي ﷺ وهو ابن عمه وأكثرم له هجواً ، فلما أسلم لم يكن أحد أحب إليه من رسول الله ﷺ وكان يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما كان يهجو ، ويتولاه بعد ما كان قد عاداه ، وهكذا روى مسلم في صحيحه عن ابن عباس أن أبا سفيان صخر بن حرب لما أسلم قال يا رسول الله ثلاث أعطينهن قال « نعم » قال : معاوية يجعله كاتباً بين يديك قال « نعم » قال وتؤمّرتي حتى أقاتل الكفار كما كنت أقاتل المسلمين قال « نعم » وذكر الثالثة ولهذا قال تعالى ( إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً ) قيل معناه ذكروا الله كثيراً في كلامهم وقيل في شعرهم وكلاهما صحيح مكفر لما سبق وقوله تعالى ( وانتصروا من بعد ما ظلموا ) قال ابن عباس يردون على الكفار الذين كانوا يهجون به المؤمنين وكذا قال مجاهد وقتادة وغير واحد وهذا كما ثبت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان « اهجهم - أوقال - هاجهم وجبريل معك » وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي ﷺ إن الله عز وجل قد أنزل في الشعراء ما أنزل فقال رسول الله ﷺ « إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل » وقوله تعالى ( وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ) كقوله تعالى ( يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ) الآية ، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال « إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة » قال قتادة بن دعامة في قوله تعالى ( وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ) يعني من الشعراء وغيرهم ، وقال أبو داود الطيالسي حدثنا إياس بن أبي تميمة قال حضرت الحسن ومر عليه بجزاة نصراني فقال ( وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ) وقال عبد الله ابن أبي رباح عن صفوان بن محرز أنه كان إذا قرأ هذه الآية بكى حتى أقول قد اندق قضيب زوره ( وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ) . وقال ابن وهب أخبرني ابن سريج الاسكندراني عن بعض المشيخة أنهم كانوا بأرض الروم فيبناهم ليلة على نار يشتون عليها أو يسطلون إذا بركبوا قد أقبلوا ققاموا إليهم فإذا فضالة بن عبيد فيهم فأنزلوه فجلس معهم - قال - وصاحب لنا قائم يصلي حتى مر بهذه الآية ( وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ) قال فضالة بن عبيد هؤلاء الذين يخرّبون البيت . وقيل المراد بهم أهل مكة وقيل الذين ظلموا من المشركين . والصحيح أن هذه الآية عامة في كل ظالم كما قال ابن أبي حاتم . ذكر عن يحيى بن زكريا بن يحيى الواسطي حدثني الهيثم بن محفوظ أبو سعد النهدي حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن المحبر حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت : كتب أبي في وصيته سطرين : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما وصى به أبو بكر بن أبي قحافة عند خروجه من الدنيا حين يؤمن الكافر وينتهي الفاجر ويصدق الكاذب إني استخلفت عليكم عمر بن الخطاب فان يعدل فذاك ظني به ورجائي فيه وإن يجر ويبدل فلا أعلم الغيب ( وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ) آخر تفسير سورة الشعراء والحمد لله رب العالمين .

### ( تفسير سورة النمل وهي مكية )

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

﴿ طَسَّ تَلَكْ ءَايَاتُ الْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ \* هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ \* الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ \* إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَتًا لَّهُمْ أَعْمَلُهُمْ فَهُمْ

يَعْمَهُونَ \* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ \* وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿

قد تقدم الكلام في سورة البقرة على الحروف المقطعة في أوائل السور ، وقوله تعالى ( تلك آيات ) أى هذه آيات ( القرآن وكتاب مبين ) أى بين واضح ( هدى وبشرى للمؤمنين ) أى إنما تحصل الهداية والبشارة من القرآن لمن آمن به واتبعه وصدقه وعمل بما فيه وأقام الصلاة المكتوبة وآتى الزكاة المفروضة وأيقن بالدار الآخرة والبعث بعد الموت والجزاء على الأعمال خيرا وشرها والجنة والنار كما قال تعالى ( قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون فى آذانهم وقر ) الآية وقال تعالى ( لتبشروا بالنعيم وتذروا قومنا لما ) ولهذا قال تعالى ههنا ( إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ) أى يكذبون بها ويستبعدون وقوعها ( زينبا لهم أعمالهم فهم يعمهُون ) أى حسنا لهم ما هم فيه ومددنا لهم فى غيرهم فهم يتبهون فى ضلالهم وكان هذا جزاء على ما كذبوا من الدار الآخرة كما قال تعالى ( وتقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ) الآية ( أولئك الذين لهم سوء العذاب ) أى فى الدنيا والآخرة ( وهم فى الآخرة هم الأخسرون ) أى ليس يخسر أنفسهم وأموالهم سواهم من أهل الحشر وقوله تعالى ( وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ) أى ( وإنك ) أى محمد ( لتلقى ) أى لتأخذ ( القرآن من لدن حكيم عليم ) أى من عند حكيم عليم أى حكيم فى أمره ونبيه عليم بالأمور جليلها وحقيقتها ، فخبيره هو الصدق المحض وحكمه هو العدل التام كما قال تعالى ( وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا )

﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نارا سائتكم منها بخيرٍ أو آتاكم بشهابٍ قبسٍ لعلكم تصطلون \* فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها وسبحن الله رب العالمين \* يموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم \* وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مذببرا ولم يعقب يموسى لا تخف إنى لا يخاف لى المرسلون \* إلا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فإنى غفور رحيم \* وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فى تسع آيات إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين \* فلما جاءتهم آياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين \* وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عقبة المفسدين ﴾

يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ مذكرا له ما كان من أمر موسى عليه السلام كيف اصطفاه الله وكلمه ونجاه وأعطاه من الآيات العظيمة الباهرة والأدلة القاهرة وابتعثه إلى فرعون ومكثه فجدوا بها وكفروا واستكبروا عن اتباعه والاقبال له . فقال تعالى ( إذ قال موسى لأهله ) أى اذكر حين سار موسى بأهله فأضل الطريق وذلك فى ليل وظلام فآنس من جانب الطور نارا أى رأى نارا تأجج وتضطرم فقال ( لأهله إنى آنست نارا سائتكم منها بخير ) أى عن الطريق ( أو آتاكم منها بشهاب قبس لعلكم تصطلون ) أى تستدفنون به وكان كما قال . فانهرجع منها بخير عظيم ، واقتبس منها نورا عظيما ولهذا قال تعالى ( فلما جاءها نودى أن بورك من فى النار ومن حولها ) أى فلما أتاها ورأى منظرا هائلا عظيما حيث انتهى إليها والنار تضطرم فى شجرة خضراء لا تزداد النار إلا توقداً ولا تزداد الشجرة إلا خضرة ونضرة ثم رفع رأسه فإذا نورها متصل بعنان السماء قال ابن عباس وغيره لم تكن نارا وإنما كانت نورا يوهج ، وفى رواية عن ابن عباس نور رب العالمين فوقف موسى متعجبا بما رأى ( فنودى أن بورك من فى النار )

قال ابن عباس تقدس ( ومن حولها ) أى من الملائكة قاله ابن عباس وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وقال ابن أبي حاتم حدثنا يونس بن حبيب حدثنا أبو داود هو الطيالسي حدثنا شعبة والمسعودى عن عمرو بن مرة ميمع أبا عبيدة يحدث عن أبي موسى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل » زاد المسعودى « وحجابه النور والنار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره » ثم قرأ أبو عبيدة ( أن بورك من في النار ومن حولها ) وأصل الحديث مخرج في صحيح مسلم من حديث عمرو بن مرة ، وقوله تعالى ( وسبحان الله رب العالمين ) أى الذى يفعل ما يشاء ولا يشبهه شيء من مخلوقاته ، ولا يحيط به شيء من مصنوعاته وهو العلى العظيم المبين لجميع المخلوقات ولا يكتنفه الأرض والسماوات بل هو الأحد الصمد للزه عن مائة المحدثات

وقوله تعالى ( يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم ) أعلمه أن الذى يخاطبه ويناجيه هو ربه الله العزيز الذى عز كل شيء وقهره وغلبه الحكيم فى أقواله وأفعاله ، ثم أمره أن يلقى عصاه من يده ليظهر له دليلاً واضحاً على أنه الفاعل المختار القادر على كل شيء ، فلما ألقى موسى تلك العصا من يده انقلبت فى الحال حية عظيمة هائلة فى غاية الكبر وسرعة الحركة مع ذلك ولهذا قال تعالى ( فلما رآها تهتز كأنها جان ) والجان ضرب من الحيات أسرع حركة وأكثر اضطراباً : وفى الحديث نهى عن قتل جنان البيوت فلما عاين موسى ذلك (ولى مدبراً ولم يعقب ) أى لم يلتفت من شدة فرقه ( يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدى المرسلون ) أى لا تخف مما ترى فإني أريد أن أصطفيك رسولاً وأجعلك نبياً وجهاً . وقوله تعالى ( إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم ) هذا استثناء منقطع وفيه بشارة عظيمة للبشر ، وذلك أن من كان على عمل سوء ثم ألقى عنه ورجع وتاب وأناب فإن الله يتوب عليه كما قال تعالى ( وإنى لعفوف لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ) وقال تعالى ( ومن يعمل سوء أو يظلم نفسه ) الآية والآيات فى هذا كثيرة جداً . وقوله تعالى ( وأدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء ) هذه آية أخرى ودليل باهر على قدرة الله الفاعل المختار وصدق من جعل له معجزة ، وذلك أن الله تعالى أمره أن يدخل يده فى جيب درعه فإذا أدخلها وأخرجها خرجت بيضاء ساطعة كأنها قطعة قمر لها لمعان تتلألأ كالبرق الخاطف : وقوله تعالى ( فى تسع آيات ) أى هاتان اثنتان من تسع آيات أؤيدك بهن وأجعلهن برهاناً لك إلى فرعون وقومه ( إنهم كانوا قوماً فاسقين ) وهذه هى الآيات التسع التى قال الله تعالى ( ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ) كما تقدم تقرير ذلك هنالك ، وقوله تعالى ( فلما جاءهم آياتنا مبصرة ) أى بينة واضحة ظاهرة ( قالوا هذا سحر مبين ) وأرادوا معارضته بسحرهم فقبلوا واثقلوا صاغرين ( وجحدوا بها ) أى فى ظاهر أمرهم ( واستيقنوا أنفسهم ) أى علموا فى أنفسهم أنها حق من عند الله ولكن جحدوها وعاندوها وكابروها ( ظلما وعلواً ) أى ظلما من أنفسهم سجية ملعونة وعلواً أى استكباراً عن اتباع الحق ولهذا قال تعالى ( فانظر كيف كان عاقبة المفسدين ) أى انظر يا محمد كيف كان عاقبة أمرهم فى اهلاك الله إياهم وإغراقهم عن آخرهم فى صبيحة واحدة وفجوى الخطاب يقول احذروا أيها المكذبون لمحمد الجاحدون لما جاء به من ربه أن يصيبكم ما أصابهم بطريق الأولى والأحرى فان محمداً ﷺ أشرف وأعظم من موسى ، وبرهانه أدل وأقوى من برهان موسى بما آتاه الله من الدلائل المقترنة بوجوده فى نفسه وشماله وما سبقه من البشارات من الأنبياء به وأخذ الموثيق له ، عليه من ربه أفضل الصلاة والسلام

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ \* وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنَاطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ \* إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ \* وَخُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ \* حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا

النملُ أَدْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده وبنبيه داود وابنه سليمان عليهما السلام من النعم الجزيلة والمواهب الجليلة والصفات الجليلة وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة والملك والتمكين التام في الدنيا والنبوة والرسالة في الدين ولهذا قال تعالى ( ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ) قال ابن أبي جاتم ذكر عن إبراهيم بن يحيى بن هشام أخبرني أبي عن جدى قال : كتب عمر بن عبدالعزيز : إن الله لم ينعم على عبده نعمة فيحمد الله عليها إلا كان حمده أفضل من نعمه لو كنت لا تعرف ذلك إلا في كتاب الله المنزل . قال الله تعالى ( ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالوا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين ) فأبى نعمة أفضل مما أوتي داود وسليمان عليهما السلام وقوله تعالى ( وورث سليمان داود ) أى فى الملك والنبوة وليس المراد وراثته المال إذ لو كان كذلك لم يخص سليمان وحده من بين سائر أولاد داود فإنه قد كان لداود مائة امرأة ، ولكن المراد بذلك وراثته الملك والنبوة فإن الأنبياء لا تورث أموالهم كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ فى قوله « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه فهو صدقة » وقال ( يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ) أى أخبر سليمان بنعم الله عليه فيما وهبه له من الملك التام والتمكين العظيم حتى إنه سخر له الإنس والجن والطير ، وكان يعرف لغة الطير والحياوان أيضاً وهذا شيء لم يعطه أحد من البشر فيما علمناه مما أخبر الله به ورسوله ، ومن زعم من الجهلة والرعاغ أن الحياوانات كانت تنطق كناطق بنى آدم قبل سليمان بن داود كما قد يتفوه به كثير من الناس فهو قول بلا علم ، ولو كان الأمر كذلك لم يكن لتخصيص سليمان بذلك فائدة إذ كلهم يسمع كلام الطيور والبهايم ويعرف ما تقول وليس الأمر كما زعموا ولا كما قالوا بل لم تزل البهايم والطيور وسائر الخلوقات من وقت خلقت إلى زماننا هذا على هذا الشكل والنوال . ولكن الله سبحانه كان قد أفهم سليمان ما يتخاطب به الطيور فى الهواء وما تنطق به الحياوانات على اختلاف أصنافها ولهذا قال تعالى ( علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء ) أى مما يحتاج إليه الملك ( إن هذا هو الفضل المبين ) أى الظاهر المبين لله علينا ، قال الإمام أحمد حدثنا قتيبة حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو عن المطلب عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « كان داود عليه السلام فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلقت الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع - قال - فخرج ذات يوم وأغلقت الأبواب فأقبلت امرأة تطالع إلى الدار فإذا رجل قائم وسط الدار فقالت لمن فى البيت من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقة؟ والله لفتضحن بداود فجاء داود عليه السلام فإذا الرجل قائم وسط الدار فقال له داود من أنت؟ فقال الذى لا يهاب الملوك ولا يمتنع من الحجاب فقال داود أنت إذأ والله ملك الموت مرحباً بأمر الله فترمل داود مكانه حتى قبضت نفسه حتى فرغ من شأنه وطلعت عليه الشمس فقال سليمان عليه السلام للطير أظلى داود فظلت عليه الطير حتى أظلمت عليه الأرض ، فقال لها سليمان اقضى جناحا جناحا» قال أبو هريرة يا رسول الله كيف فعلت الطير؟ فقضى رسول الله ﷺ يده وغلبت عليه يومئذ الضرحية . قال أبو الفرج ابن الجوزى : الضرحية هى النور الحمراء . وقوله تعالى ( وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ) أى وجمع لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير يعنى ركب فيهم فى أبهة وعظمة كبيرة فى الإنس وكانوا هم الذين يلونه والجن وهم بعدهم فى المنزلة والطير ومنزلتها فوق رأسه ، فان كان حر أظلمته منه بأجنحتها . وقوله ( فهم يوزعون ) أى يكف أولهم على آخرهم لثلاث يتقدم أحد عن منزلته التى هى مرتبة له ، قال مجاهد جعل على كل صنف وزعة يردون أولها على آخرها لثلاث يتقدموا فى المسير كما يفعل الملوك اليوم . وقوله

( حتى إذا أتوا على وادي النمل ) أى حتى إذا مر سليمان عليه السلام بمن معه من الجيوش والجنود على وادي النمل ( قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون ) أورد ابن عساكر من طريق إسحاق بن بشر عن سعيد عن قتادة عن الحسن أن اسم هذه النملة حرس وأنها من قبيلة يقال لهم بنو الشيصان وأنها كانت عرجاء وكانت بقدر الدتب . أى خافت على النمل أن تحطمها الخيول بجوارفها فأمرتهم بالدخول إلى مساكنهم ففهم ذلك سليمان عليه السلام منها ( فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت علىّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه ) أى ألهمنى أن أشكر نعمتك التى مننت بها على من تعليمى منطق الطير والحيوان وعلى والديّ بالاسلام لك ، والإيمان بك ( وأن أعمل صالحاً ترضاه ) أى عملاً تحبه وترضاه ( وأدخلني برحمتك فى عبادك الصالحين ) أى إذا توفيتنى فألحقني بالصالحين من عبادك ، والرفيق الأعلى من أوليائك ، ومن قال من المفسرين إن هذا الوادى كان بأرض الشام أو بغيره وإن هذه النملة كانت ذات جناحين كالباب أو غير ذلك من الأقاويل فلا حاصل لها . وعن نوف البكالى أنه قال كان نمل سليمان أمثال الدئاب، هكذا رأيت مضبوطاً بالياء المثناة من تحت وإنما هو بالياء الموحدة وذلك تصحيف والله أعلم . والغرض أن سليمان عليه السلام فهم قولها وتبسم ضاحكا من ذلك وهذا أمر عظيم جداً . وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو حدثنا محمد بن بشر حدثنا يزيد بن هرون أن أبانا مسعر عن زيد العمى عن أبي الصديق الناجى قال خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقى فاذا هو بنملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهى تقول : اللهم إنا خلقك من خلقك ولاغنى بناعن سقياك وإلا تسقنا تهلكنا . فقال سليمان : ارجعوا فمستقيم بدعوة غيركم . وقد ثبت فى الصحيح عند مسلم من طريق عبدالرزاق عن معمر عن همام عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « قرصت نبيا من الأنبياء نملة فأمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله إليه ، أفى أن قرصتك نملة أهلكت أمة من الأمم تسبح ؟ فهلا نملة واحدة ؟ »

﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ \* لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتَنِي بِسُلْطَنٍ مُّبِينٍ ﴾

قال مجاهد وسعيد بن جبیر وغيرهما عن ابن عباس وغيره : كان الهدهد مهندسا يدل سليمان عليه السلام على الماء إذا كان بأرض فلاة طلبه فنظر له الماء فى تخوم الأرض كما يرى الانسان الشيء الظاهر على وجه الأرض ويعرف كم مساحة بعده من وجه الأرض فاذا دهم عليه أمر سليمان عليه السلام الجان فحفروا له ذلك المكان حتى يستنبط الماء من قراره ، فنزل سليمان عليه السلام يوماً بفلاة من الأرض فتفقد الطير ليرى الهدهد فلم يره ( فقال ما لى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين ) حدث يوماً عبد الله بن عباس بنحو هذا وفى القوم رجل من الخوارج يقال له نافع ابن الأزرق وكان كثير الاعتراض على ابن عباس فقال له قف يا ابن عباس غلبت اليوم ، قال ولم ؟ قال إنك تخبر عن الهدهد أنه يرى الماء فى تخوم الأرض ، وإن الصبي ليضع له الحبة فى الفخ ويخثو على الفخ تراباً فيجىء الهدهد ليأخذها فيقع فى الفخ فيصيده الصبي فقال ابن عباس ، لولا أن يذهب هذا فيقول رددت على ابن عباس لما أجبته ثم قال له ويحك إنه إذا نزل القدر عمى البصر وذهب الحذر ، فقال له نافع : والله لا أجادلك فى شيء من القرآن أبداً وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة أبي عبد الله البرزى من أهل برزة من غوطة دمشق وكان من الصالحين يصوم الاثنين والخميس وكان أعور قد بلغ الثمانين فروى ابن عساكر بسنده إلى أبي سليمان بن زيد أنه سأله عن سبب عوره فامتنع عليه فألح عليه شهوراً فأخبره أن رجلين من أهل خراسان نزلا عنده جمعة فى قرية برزة وسألاه عن وادها فأرتهما إياه فأخرجا بحجر وأوقدا فيها بخوراً كثيراً حتى جمعجج الوادى بالدخان ، فأخذنا يعزمان والحيات تقبل من كل مكان إليهما فلا يلتفتان إلى شيء منها ، حتى أقبلت حية نحو الذراع وعيناها تتوقدان مثل الدينار ، فاستبشرا

بها عظيماً وقال الحمد لله الذي لم يخيب سفرنا من سنة وكسرا الجامر وأخذنا الحية فأدخلنا في عينها ميلاً فاستحلبنا به ، فسألتهما أن يكحلاني فأبيا فألححت عليهما وقلت لا بد من ذلك وتوعدتهما بالدولة فكحلا عيني الواحدة اليمنى فحين وقع في عيني نظرت إلى الأرض تحتي مثل المرأة أنظر ماتحتها كما ترى المرأة ثم قال لي : سر معنا قليلاً فسرت معهما وهما يحدثان حتى إذا بعدت عن القرية أخذاني فكتفاني وأدخل أحدهما يده في عيني ففقاهاورمي بها ومضيا ، فلم أزل كذلك ملقياً مكتوفاً حتى مر بي نفر ففك وثاقي ، فهذا ما كان من خبر عيني وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن عمرو والنسائي حدثنا عباد بن ميسرة النخعي عن الحسن قال : اسم هدهد سليمان عليه السلام عبر . وقال محمد بن إسحق : كان سليمان عليه السلام إذا غدا إلى مجلسه الذي كان يجلس فيه تفقد الطير وكان فيما يزعمون يأتيه نوب من كل صنف من الطير كل يوم طائر ، فنظر فرأى من أصناف الطير كلها من حضره إلا الهدهد ( فقال مالي لأرى الهدهد أم كان من الغائبين ) أخطأه بصرى من الطير أم غاب فلم يحضر ؟ وقوله ( لأعذبه عذاباً شديداً ) قال الأعمش عن النهال بن عمرو عن سعيد بن عباس يعني تنف ريشه ، وقال عبد الله بن شداد تنف ريشه وتشميسه وكذا قال غير واحد من السلف إنه تنف ريشه وتركه ملقياً يأكل الدر والخل . وقوله ( أو لأذبحنه ) يعني قتله ( أو ليأتيني بسلطان مبین ) بعذرين واضح ، وقال سفيان بن عيينة وعبد الله بن شداد : لما قدم الهدهد قالت له الطير ما خلفك فقد نذر سليمان دمك ، فقال هل استثنى ؟ قالوا نعم قال ( لأعذبه عذاباً شديداً أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبین ) قال نجوت إذا . قال مجاهد إنما دفع الله عنه يره بأمه

﴿ فَكَتَّ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنْتَيْ يَتِيمَيْنِ ۖ إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ۖ وَجَدْتَهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ۖ أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۗ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾

يقول تعالى ( فكتت ) الهدهد ( غير بعيد ) أي غاب زماناً يسيراً ثم جاء فقال لسليمان ( أحطت بما لم تحط به ) أي اطلعت على ما لم تطالع عليه أنت ولا جنودك ( وجئتك من سبأ بنتا يتيمين ) أي بخبز صدق حق يتيمين ، وسبأ هم حير وهم ملوك اليمن ، ثم قال ( إنني وجدت امرأة تملكهم ) قال الحسن البصري وهي بلقيس بنت شراحيل ملكة سبأ ، وقال قتادة : كانت أمها جنية وكان مؤخر قدمها مثل حافر الدابة من بيت ملكة ، وقال زهير بن محمد : هي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن الريان وأمها فارعة الجنية ؛ وقال ابن جرير بلقيس بنت ذى شريح وأمها بلتعة وقال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسن حدثنا مسدد حدثنا سفيان بن عيينة عن عطاء بن السائب عن مجاهد عن ابن عباس قال : كان مع صاحبة سليمان مائة ألف قيل تحت كل ألف مقاتل ، وقال الأعمش عن مجاهد : كان تحت يدي ملكة سبأ اثنا عشر ألف قيل تحت كل ألف مقاتل ، وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة في قوله تعالى ( إنني وجدت امرأة تملكهم ) كانت من بيت ملكة وكان أولو مشورتها ثلاثمائة واثني عشر رجلاً كل رجل منهم على عشرة آلاف رجل وكانت بارض يقال لها مأرب على ثلاثمائة أميال من صنعاء ، وهذا القول هو أقرب على أنه كثير على ملكة اليمن والله أعلم وقوله ( وأوتيت من كل شيء ) أي من متاع الدنيا مما يحتاج إليه الملك التمكن ( ولها عرش عظيم ) يعني سرير تجلس عليه عظيم هائل مزخرف بالذهب وأنواع الجواهر واللآلئ . قال زهير بن محمد كان من ذهب وصفحاته مرمولة بالياقوت والبرجد ؛ طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً ؛ وقال محمد بن إسحق : كان من ذهب منقوص بالياقوت والبرجد واللؤلؤ وكان إنما يخدمها النساء ولها ستائة امرأة تلي الخدمة ، قال علماء التاريخ : وكان هذا السرير في قصر عظيم مشيد رفيع البناء

محكم وكان فيه ثلثمائة وستون طاقه من مشرقه ومثلها من مغربه ، قد وضع بناؤه على أن تدخل الشمس كل يوم من طاقة وتعرب من مقابلتها فيسجدون لها صباحاً ومساءً ولهذا قال ( وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدمهم عن السبيل ) أى عن طريق الحق ( فهم لا يهتدون ) وقوله ( ألا يسجدوا لله ) معناه ( وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدمهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا لله ) أى لا يعرفون سبيل الحق التى هى إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من الكواكب وغيرها ، كما قال تعالى ( ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ) وقرأ بعض القراء ( ألا يا اسجدوا لله ) جعلها ألا الاستفتاحية ويا للنداء ، وحذف المنادى تقديره عنده ألا يا قوم اسجدوا لله ، وقوله ( الذى يخرج الغيب فى السموات والأرض ) قال طى بن أبى طلحة عن ابن عباس يعلم كل خبيثة فى السماء والأرض ، وكذا قال عكرمة ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وغير واحد . وقال سعيد بن المسيب: الغيب الماء وكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خبء السموات والأرض ما جعل فيهما من الأرزاق . المطر من السماء والنبات من الأرض . وهذا مناسب من كلام المهدهد الذى جعل الله فيه من الخاصية ما ذكره ابن عباس وغيره من أنه يرى الماء يجرى فى تخوم الأرض وداخلها وقوله ( ويعلم ما تخفون وما تعلنون ) أى يعلم ما يخفيه العباد وما يعلنونه من الأتوال والأفعال ، وهذا كقوله تعالى ( سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ) وقوله ( الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ) أى هو المدعو الله وهو الذى لا إله إلا هو رب العرش العظيم : الذى ليس فى المخلوقات أعظم منه . ولما كان المهدهد داعياً إلى الخير ، وعبادة الله وحده والسجود له نهى عن قتله كما رواه الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال نهى النبي ﷺ عن قتل أربع من الدواب : النملة والنحلة والمهدهد والصراد ، وإسناده صحيح .

﴿ قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ \* أَذْهَبَ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقَاهُ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظَرُ مَاذَا يَرْجِعُونَ \* قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأَى أَلْتَمَى إِلَى كِتَابِ كَرِيمٍ \* إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ \* أَلَا تَعْلَمُونَ أَنِّي وَأَتُونِي مَسْلُومِينَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن قيل سليمان للمهدهد حين أخبره عن أهل سبأ وملكتهم ( قال سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ) أى أصدقت فى إخبارك هذا ( أم كنت من الكاذبين ) فى مقاتلتك لتتخلص من الوعيد الذى أوعدتك ؟ ( اذهب بكتابى هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ) وذلك أن سليمان عليه السلام كتب كتاباً إلى بلقيس وقومها . وأعطاه ذلك المهدهد فحمله . قيل فى جناحه كما هى عادة الطير ، وقيل بمنقاره ، وذهب إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس إلى الخلوقة التى كانت تختلئ فيها بنفسها فألقاه إليها من كوة هنالك بين يديها ثم تولى ناحية أدباً ورياسة فتجبرت مما رأت وهالما ذلك ثم عمدت إلى الكتاب فأخذته ففتحت ختمه وقرأته فإذا فيه ( إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم \* ألا تعالوا على وأتوني مسلمين ) فجمعت عند ذلك أمراءها ووزراءها وكبراء دولتها ومملكتها ثم قالت لهم ( يا أيها الملأ إني ألقى إلى كتاب كريم ) تعنى بكرمه ما رأته من عجيب أمره كون طائر ذهب به فألقاه إليها ثم تولى عنها أدباً وهذا أمر لا يقدر عليه أحد من الملوك ولا سبيل لهم إلى ذلك ثم قرأته عليهم ( إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم \* ألا تعالوا على وأتوني مسلمين ) فعرفوا أنه من نبي الله سليمان عليه السلام ، وأنه لا قبل لهم به وهذا الكتاب فى غاية البلاغة والوجازة والفصاحة فانه حصل المعنى بأيسر عبارة وأحسنها . قال العلماء لم يكتب أحد بسم الله الرحمن الرحيم قبل سليمان عليه السلام . وقد روى ابن أبى حاتم فى ذلك حديثاً فى تفسيره حيث قال : حدثنا أبى حدثنا هارون بن الفضل أبو يعلى الخياط حدثنا أبو يوسف عن سلمة بن صالح عن عبد الكريم أبى أمية عن

ابن بريدة عن أبيه قال : كنت أمشي مع رسول الله ﷺ فقال « إني أعلم آية لم تنزل على نبي قبلي بعد سليمان بن داود » قلت يا نبي الله أي آية ؟ قال « سأعلمها قبل أن أخرج من المسجد » قال فاتتهى إلى الباب فأخرج إحدى قدميه فقلت نسي ثم التفت إلى وقال « إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم » هذا حديث غريب وإسناده ضعيف . وقال ميمون بن مهران كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب باسمك اللهم حتى نزلت هذه الآية . فكتب ( بسم الله الرحمن الرحيم ) . وقوله ( أن لا تلوا على ) قال قتادة يقول لا تجبروا على ( وأتوني مسلمين ) وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم لا تمتنعوا ولا تتكبروا على وأتوني مسلمين . قال ابن عباس موحدس ، وقال غيره مخلصين ، وقال سفيان بن عيينة : طامعين .

﴿ قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونُ \* قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةً وَأَوْلُوا بِأَسْ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكَ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ \* قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَظَ أَهْلِهَا أُذَلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ \* وَإِنِّي مُرْسَلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾

لما قرأت عليهم كتاب سليمان استشارتهم في أمرها وما قد نزل بها ولهذا قالت ( يا أيها الملا أفتوني في أمرى ما كنت قاطعة أمرًا حتى تشهدون ) أى حتى تحضرون وتشيرون ( قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد ) أى منوا إليها بعد دم وعددهم وقوتهم ثم فوضوا إليها بعد ذلك الأمر فقالوا : ( والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين ) أى نحن ليس لنا عاقبة ولا بنا بأس إن شئت أن تصديه وتخاربه فما لنا عاقبة عنه . وبعد هذا فالأمر إليك مرى فينا رأيك نمتله ونطيعه . قال الحسن البصرى رحمه الله : فوضوا أمرهم إلى علة تضطرب ثديها ، فلما قالوا لها ما قالوا كانت هى أحزم رأياً منهم وأعلم بأمر سليمان . وأنه لا قبل لها بمجنوده وجيوشه وما سخر له من الجن والإنس والطيور . وقد شاهدت من قضية الكتاب مع المهدد أمرًا عجيباً بديعاً فقالت لهم إني أخشى أن نحاربه ونمتنع عليه فيقصدا بمجنوده ويهلكنا بمن معه ويخلص إلى وإليكم الهلاك والدمار دون غيرنا . ولهذا قالت ( إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ) . قال ابن عباس أى إذا دخلوا بلداً عنوة أفسدوه أى خربوه ( وجعلوا أعزة أهلها أذلة ) أى وقصدوا من فيها من الولاة والجنود فأهانوهم غاية الهوان إما بالقتل أو بالأسر . قال ابن عباس قالت بلقيس ( إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ) قال الرب عز وجل ( وكذلك يفعلون ) ثم عدلت إلى المصالحة والمهادنة والمسائلة والمخادعة والمصانعة فقالت ( وإني مرسلَةٌ إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون ) أى سأبعث إليه بهدية تليق بمثله وأنظر ماذا يكون جوابه بعد ذلك فعليه يقبل ذلك منا ويكف عنا ، أو يضرب علينا خراجاً نجعله إليه فى كل عام ونلتزم له بذلك وبترك قتالنا ومحاربتنا : قال قتادة رحمه الله ما كان أعقلها فى إسلامها وشركها ، علمت أن الهدية تقع موقفاً من الناس . وقال ابن عباس وغير واحد قالت لقومها إن قبل الهدية فهو ملك فقاتلوه وإن لم يقبلها فهو نبي فاتبعوه

﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ \* أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِمِجْنُونٍ لَّا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾

ذكر غير واحد من المفسرين من السلف وغيرهم أنها بعثت إليه بهدية عظيمة من ذهب وجواهر ولآلىء وغير ذلك وقال بعضهم أرسلت بلبن من ذهب ، والصحيح أنها أرسلت إليه بآنية من ذهب : قال مجاهد وسعيد بن جبير وغيرهما أرسلت جوارى فى زى الثلمان وغللمان فى زى الجوارى فقالت إن عرف هؤلاء من هؤلاء فهو نبي قالوا فأمرهم سليمان فنوضوا فجعلت الجارية تفرغ على يدها من الماء وجعل الغلام يغترف فيزهم بذلك . وويل بل جعلت الجارية

تسفل باطن يدها قبل ظاهرها والعلامة بالعكس ، وقيل بل جعلت الجوارى يغسلن من أكفهن إلى مراقفهن ، والعلمان من مراقفهن إلى كفوفهن ولا منافاة بين ذلك كله والله أعلم . وذكر بعضهم أنها أرسلت إليه بقدر ليلاء ماء رواء لامن السماء ولا من الأرض : فأجرى الخيل حتى عرقت ثم ملاءه من ذلك ، وبخرزة وسلك ليحمله فيها ففعل ذلك والله أعلم أكان ذلك أم لا ، وأكثره مأخوذ من الإسرائيليات ، والظاهر أن سليمان عليه السلام لم ينظر إلى ماجاءوا به بالسكينة ولا اعتنى به بل أعرض عنه ، وقال منكرآ عليهم (أتمدون بمال؟) أى أتصانعوننى بمال لأترككم على شرككم وملكم؟ (فما أتانى الله خير مما آتاكم) أى الذى أعطانى الله من الملك والمال والجنود خير مما أتم فيه (بل أتم بهديتكم بفرحون) أى أتم الذين تنقادون للهدايا والتحف ، وأما أنا فلا أقبل منكم إلا الاسلام أوالسيف قال الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنه : أمر سليمان الشياطين فموهوا له ألف قصر من ذهب وفضة ، فلما رأت رسلها ذلك قالوا ما يصنع هذا بهديتنا ، وفي هذا جواز تهيو الملوك وإظهارهم الزينة للرسل والقصاد(ارجع إليهم) أى بهديتهم (فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها) أى لاطاقة لهم بقتالهم (ولنخرجهم منها أذلة) أى ولنخرجهم من بلدتهم أذلة(وهم صاغرون) أى مهانون مدحورون. فلما رجعت إليها رسلها بهديتها وبما قال سليمان سمعت وأطاعت هى وقومها وأقبلت تسيراليه فى جنودها خاضعة ذليلة معظمة لسليمان ناوية متابعتها فى الإسلام ، ولما تحقق سليمان عليه السلام قدومهم عليه ووفودهم اليه فرح بذلك وسره

﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ \* قَالَ عَفْرَيْتُ مِنْ الْجُنِّ أَنَا وَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ \* قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾

قال محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان قال : فلما رجعت إليها الرسل بما قال سليمان قالت: قد والله عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة وما نضع بمكابرتة شيئا ، وبعثت اليه إني قادمة عليك بملوك قومي لأنظر ما أمرك وما تدعوننا اليه من دينك ، ثم أمرت بسرير ملكها الذى كانت تجلس عليه . وكان من ذهب مفصص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ فجعل فى سبعة آيات بعضها فى بعض ثم أقفلت عليه الأبواب ثم قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكى فلا يخلص اليه أحد من عباد الله ، ولا يرينه أحد حتى آتيتك ثم شخصت إلى سليمان فى اثني عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت يدي كل قيل ألوف كثيرة فجعل سليمان يبعث الجن يأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة حتى إذا دنت جمع من عنده من الجن والإنس ممن تحت يده فقال (يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) وقال قتادة لما بلغ سليمان أنها جائية وكان قد ذكر له عرشها فأعجبه . وكان من ذهب وقوائمه لؤلؤ وجوهر . وكان مسترا بالديباج والحريز ، وكانت عليه تسعة مغاليق فكره أن يأخذه بعد إسلامهم . وقد علم نبي الله أنهم متى أسلموا تحرم أموالهم ودماؤهم فقال (يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) وهكذا قال عطاء الخراساني والسدي وزهير بن محمد (قبل أن يأتوني مسلمين) فتحرم على أموالهم بإسلامهم (قال عفريت من الجن) قال مجاهد أى مارد من الجن ، قال شعيب الجبائي وكان اسمه كوزن ، وكذا قال محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان وكذا قال أيضا وهب بن منبه قال أبو صالح وكان كأنه جبل (أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك) قال ابن عباس رضى الله عنه يعنى قبل أن تقوم من مجلسك . وقال مجاهد مقعدك ، وقال السدي وغيره كان يجلس للناس للفضاء والحكومات وللطعام من أول النهار إلى أن تزول الشمس (وإني عليه لقوي أمين) قال ابن عباس أى قوى على حمله أمين على

ما فيه من الجوهر ، فقال سليمان عليه السلام أريد أعجل من ذلك ، ومن ههنا يظهر أن سليمان أراد باحضار هذا السرير إظهار عظمة ما وهب الله له من الملك وما سخر له من الجنود الذي لم يعطه أحد قبله ولا يكون لأحد من بعد ، وليتخذ ذلك حجة على نبوته عند بلقيس وقومها لأن هذا خارق عظيم أن يأتي بعرشها كما هو من بلادها قبل أن يقدموا عليه ، هذا وقد حجته بالأغلاق والأقفال والحفظة . فلما قال سليمان أريد أعجل من ذلك ( قال الذي عنده علم من الكتاب ) قال ابن عباس وهو آصف كاتب سليمان ، وكذا روى محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان أنه آصف بن برخيا . وكان صديقا يعلم الاسم الأعظم . وقال قتادة كان مؤمنا من الإنس واسمه آصف ، وكذا قال أبو صالح والضحاك وقاتدة إنه كان من الإنس زاد قتادة من بني إسرائيل . وقال مجاهد كان اسمه أسطوم ، وقال قتادة في رواية عنه كان اسمه بليخا ، وقال زهير بن محمد هو رجل من الإنس يقال له ذوالنور . وزعم عبدالله بن لحيعة أنه الحضرمي وهو غريب جدا . وقوله ( أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك ) أي ارفع بصرك وانظر مد بصرك مما تقدر عليه فإنك لا تكمل بصرك إلا وهو حاضر عندك ، وقال وهب بن منبه : امدد بصرك فلا يبلغ مداه حتى آتيك به فذكروا أنه أمره أن ينظر نحو اليمن التي فيها هذا العرش المطلوب ثم قام فتوضأ ودعا الله تعالى . قال مجاهد قال إذا الجلال والاكرام . وقال الزهري قال : يا إلهنا وإله كل شيء إلهاً واحداً لا إله إلا أنت اثنتي بعرشها . قال فثقل بين يديه . قال مجاهد وسعيد ابن جبير ومحمد بن إسحق وزهير بن محمد وغيرهم : لما دعا الله تعالى وسأله أن يأتيه بعرش بلقيس وكان في اليمن وسليمان عليه السلام بييت المقدس فاب السرير وغاص في الأرض ثم نبع من بين يدي سليمان

وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم : لم يشعر سليمان إلا وعرشها يحمل بين يديه قال وكان هذا الذي جاء به من عباد البحر فلما عين سليمان وملؤه ذلك ورآه مستقراً عنده ( قال هذا من فضل ربي ) أي هذا من نعم الله على ( ليولوني ) أي ليختبرني ( أ أشكر أم أ كفر ومن شكر فإنا يشكر لنفسه ) كقوله ( من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ) وكقوله ( ومن عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون ) وقوله ( ومن كفر فإن ربي غني كريم ) أي هو غني عن العباد وعبادتهم كريم أي كريم في نفسه وإن لم يعبد أحد فان عظمته ليست مفتقرة إلى أحد ، وهذا كما قال موسى ( إن تكفروا أنتم ومن في الأرض جميعاً فإن الله لغني حميد ) وفي صحيح مسلم « يقول الله تعالى : يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً . يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً . يا عبادي إنما هي أعمالكم أحصيا لكم ثم أوفيكم بإها فمن وجد خيراً فليحمد الله ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه »

﴿ قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ \* فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتَيْنَا أَلْعَلِمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ \* وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ \* قِيلَ لَهَا أَدْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَتْ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

لما جاء سليمان عليه السلام بعرش بلقيس قبل قدومها أمر به أن يغير بعض صفاته ليختبر معرفتها وثباتها عند رؤيته هل تقدم على أنه عرشها أو أنه ليس بعرشها فقال ( نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون ) قال ابن عباس نزع منه فصوصه ومرافقه ، وقال مجاهد أمر به فقير ما كان فيه أحمر جعل أصفر وما كان أصفر جعل أحمر . وما كان أخضر جعل أحمر غير كل شيء عن حاله . وقال عكرمة زادوا فيه وتقصوا وقال قتادة جعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره وزادوا فيه وتقصوا ( فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ) أي عرض عليها عرشها وقد غير ونكر

وزيد فيه وتقص منه فكان فيها ثبات وعقل ، ولها لب ودهاء وحزم ، فلم تقدم على أنه هو لبعد مسافته عنها ولا أنه غيره لمارأت من آثاره وصفاته وإن غير وبدل ونكر فقالت ( كأنه هو ) أى يشبهه ويقاربه . وهذا غاية في الكاء والحزم . وقوله ( وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ) قال مجاهد يقوله سليمان ، وقوله تعالى ( وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين ) هذا من تمام كلام سليمان عليه السلام في قول مجاهد وسعيد بن جبير رحمهما الله أى قال سليمان ( أوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين ) وهى كانت قد صدتها أى منعها من عبادة الله وحده ( ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين ) وهذا الذى قاله مجاهد وسعيد وحسن وقاله ابن جرير أيضا ، ثم قال ابن جرير ويحتمل أن يكون في قوله ( وصدها ) ضمير يعود إلى سليمان أو إلى الله عز وجل تقديره ومنعها ( ما كانت تعبد من دون الله ) أى صدتها عن عبادة غير الله ( إنها كانت من قوم كافرين ) ﴿ قلت ﴾ ويؤيد قول مجاهد أنها إنما أظهرت الإسلام بعد دخولها إلى الصرح كإسياني . وقوله ( قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها ) وذلك أن سليمان عليه السلام أمر الشياطين فبنوا لها قصرأ عظيما من قوارير أى من زجاج وأجرى تحته الماء فالذى لا يعرف أمره يحسب أنه ماء ولكن الزجاج يحول بين الماشى وبينه . واختلفوا في السبب الذى دعا سليمان عليه السلام إلى اتخاذه فقيل انه لما عزم على تزوجها واصطفائها لنفسه ، ذكر له جمالها وحسنها ولكن في ساقها هلب عظيم ومؤخر أقدامها كمؤخر الدابة . فساءه ذلك فاتخذ هذا ليعلم صحته أم لا ؟ هكذا قول محمد بن كعب القرظي وغيره . فلما دخلت وكشفت عن ساقها رأى أحسن الناس ساقا وأحسنهم قدما . ولكن رأى على رجلها شعرا لأنها ملكة ليس لها زوج فأحب أن يذهب ذلك عنها فقيل له الموسى فقالت لا أستطيع ذلك . وكره سليمان ذلك وقال للجن اصنعوا شيئا غير الموسى يذهب به هذا الشعر فصنعوا له النورة . وكان أول من اتخذت له النورة قاله ابن عباس ومجاهد وعكرمة ومحمد بن كعب القرظي والسدى وابن جريج وغيرهم . وقال محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان ثم قال لها ادخلي الصرح ليربها ملكا هو أعز من ملكها وسلطانا هو أعظم من سلطانها فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها لانتشك أنه ماء تخوضه فقيل لها إنه صرح ممرد من قوارير ، فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله وحده وعاتها في عبادة الشمس من دون الله ، وقال الحسن البصرى : لما رأت العليجة الصرخ عرفت والله أن قد رأت ملكا أعظم من ملكها ، وقال محمد بن إسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال : أمر سليمان بالصرح وقد عملته له الشياطين من زجاج كأنه الماء بياضا ثم أرسل الماء تحته ثم وضع له فيه سريره فجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والإنس ثم قال لها ادخلي الصرح ليربها ملكا هو أعز من ملكها وسلطانا هو أعظم من سلطانها ( فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها ) لا تشك أنه ماء تخوضه قيل لها ( إنه صرح ممرد من قوارير ) . فلما وقفت على سليمان دعاها إلى عبادة الله عز وجل وحده وعاتها في عبادتها الشمس من دون الله فقالت بقول الزنادقة فوقع سليمان ساجدا إعظاما لما قالت وسجد معه الناس فسقط في يديها حين رأت سليمان صنع ما صنع فلما رفع سليمان رأسه قال ويحك ماذا قلت ؟ قالت أنسيت ما قلت ؟ فقالت ( رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ) فأسلمت وحسن إسلامها . وقدروى الإمام أبو بكر بن أبي شيبة في هذا أثرا غريباً عن ابن عباس فقال حدثنا الحسين بن علي عن زائدة حدثني عطاء بن السائب حدثنا مجاهد ونحن في الأزدي قال حدثنا ابن عباس قال : كان سليمان عليه السلام يجلس على سريره ثم توضع كراسى حوله فيجلس عليها الإنس ثم يجلس الجن ثم الشياطين ثم تأتي الريح تفرقهم ثم تظلمهم الطير ثم يعدون قدر ما يشتهي الراكب أن ينزل شهراً ورواحها شهراً ، قال فبينما هو ذات يوم في مسير له إذ تفقد الطير ففقد الهدهد فقال ( مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين \* لأعدته عذابا شديدا أو لأذبحنه أو نيا تبنى بسطان ميين ) قال وكان عذابه إياه أن ينتفه ثم يلقيه في الأرض فلا يتمتع من نملته ولا من شيء من هوام الأرض قال عطاء وذكر سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل حديث مجاهد ( ثمكث غير بعيد - فقرأ حتى انتهى إلى قوله - سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين \* اذهب بكتابي هذا ) وكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، إلى بلقيس ( أن لاتعلاوا

على واثتوني مسلمين ) فلما ألقى الهدهد الكتاب اليها ألقى في روعها انه كتاب كريم وانه من سليمان وأن لاتعلوا على واثتوني مسلمين قالوا نحن أولوا قوة قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وإني مرسله إليهم بهدية فناظرة بم يرجع الرسولون ، فلما جاءت الهدية سليمان قال آتمدوني بمال ارجع إليهم فلما نظر إلى العبار أخبرنا ابن عباس قال وكان بين سليمان وبين ملكة سبأ ومن معها حين نظر إلى العبار كما بيننا وبين الحيرة ، قال عطاء ومجاهد حينئذ في الأزدي . قال سليمان أيكم يأتي بي بعرشها ؟ قال وبين عرشها وبين سليمان حين نظر إلى العبار مسيرة شهرين ( قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ) قال وكان لسليمان مجلس يجلس فيه للناس كما يجلس الأمراء ثم يقوم . فقال ( أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك ) قال سليمان أريد أعجل من ذلك ، فقال الذي عنده علم من الكتاب أنا أنظر في كتاب ربي ثم آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك قال فنظر إليه سليمان فلما قطع كلامه رد سليمان بصره فنبع عرشها من تحت قدم سليمان من تحت كرسي كان سليمان يضع عليه رجله ثم يصعد إلى السرير ، قال فلما رأى سليمان عرشها قال ( هذا من فضل ربي ) الآية ( قال نكروا لها عرشها ) فلما جاءت قيل أهكذا عرشك ؟ قالت كأنه هو . قال فسألته حين جاءت عن أمرين قالت لسليمان أريد ما ليس من أرض ولا سماء . وكان سليمان إذا سئل عن شيء سأل الإنس ثم الجن ثم الشياطين قال : فقالت الشياطين هذا هين أجز الحيل ثم خذ عرقها ثم املا منه الآنية . قال فأمر بالحيل فأجريت ثم أخذ عرقها فلأمنه الآنية ، قال وسألت عن لون الله عز وجل . قال فوثب سليمان عن سريره فخرساجداً فقال يارب لقد سألتني عن أمر إنه ليتعظم في قلبي أن أذكره لك ، فقال ارجع فقد كفيتمكم قال فرجع إلى سريره قال ما سألت عنه ؟ قالت ما سألتك إلا عن الماء فقال لجنوده ما سألت عنه ؟ فقالوا ما سألتك إلا عن الماء ، قال ونسوه كلهم . قال وقالت الشياطين إن سليمان يريد أن يتخذها لنفسه فإن أخذها لنفسه ثم ولد بينهما ولد لم تنفك من عبوديته ، قال فجعلوا صرحاً محرماً من قوارير فيه السمك قال فقيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقها فاذا هي شعراء . فقال سليمان هذا قبيح فما يذهب ؟ قالوا يذهب موسى فقال أئر موسى قبيح قال فجعلت الشياطين النورة . قال فهو أول من جعل له النورة ، ثم قال أبو بكر بن أبي شيبة ما أحسنه من حديث ( قلت ) بل هو منكر غريب جداً ولعله من أوهام عطاء بن السائب على ابن عباس والله أعلم . والأقرب في مثل هذه السياقات أنها متلقاة عن أهل الكتاب بما وجد في صحفهم كروايات كعب ووهب ساعهما الله تعالى فيما نقلاه إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والغرائب والعجائب مما كان وما لم يكن وما حرف وبدل ونسخ . وقد أعانا الله سبحانه عن ذلك بما هو أصح منه وأنفع وأوضح وأبلغ والله الحمد والمنة . أصل الصرح في كلام العرب هو القصر وكل بناء مرتفع ، قال الله سبحانه وتعالى إخباراً عن فرعون لعنه الله أنه قال لوزيره هامان ( ابن لي صرحاً لعلني أبلغ الأسباب ) الآية . والصرح قصر في اليمن على البناء ، والمرد المبني بناء محكما أملس ( من قوارير ) أي زجاج ، وتعميد البناء تمليسه ، ومارد : حصن بدومة الجندل . والغرض أن سليمان عليه السلام اتخذ قصر أعظماً منيفاً من زجاج لهذه الملكة ليريه عظمة سلطانه وتمكنه ، فلما رأته ما آتاه الله وجلالة ما هوفيه وتبصرت في أمره انقادت لأمر الله تعالى وعرفت أنه نبي كريم ، وملك عظيم ، وأسألت لله عز وجل وقالت ( رب إني ظلمت نفسي ) أي بما سلف من كفرها وشركها وعبادتها وقومها للشمس من دون الله ( وأسألت مع سليمان لله رب العالمين ) أي متابعة لهذين سليمان في عبادته لله وحده لا شريك له الذي خلق كل شيء بقدره تقديراً .

﴿ وَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّا خَلَقْنَا أَن مَّوَدَّآ خَاهُمْ صٰلِحًا أَن ۤأَعْبُدُوا اللَّهَ ۖ فَاذٰآهُمْ فَرِيقًا يَخْتَصِمُونَ ﴾ قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَفِرُّونَ اللَّهَ لَمَلَكُم تَرْحُمُونَ ﴾ قَالُوا أَطِيزُنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طٰبَ رُحْمٌ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَفْتَنُونَ ﴿

يخبر تعالى عن ثمود وما كان من أمرها مع نبيها صالح عليه السلام حين بعثه الله إليهم فدعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له ( فإذا هم فريقان يختصمون ) قال مجاهد : مؤمن وكافر كقوله تعالى ( قال الملاّ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ؟ قالوا إنا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون ) ( قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ) أى لم تدعون بحضور العذاب ولا تطلبون من الله رحمة ولهذا قال ( لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون قالوا اطيننا بك وبمن معك ) أى ما رأينا على وجهك ووجوه من اتبعك خيرا ، وذلك أنهم لشقايمهم كان لا يصيب أحدا منهم سوء إلا قال هذا من قبل صالح وأصحابه قال مجاهد تشاءموا بهم وهذا كما قال الله تعالى إخبارا عن قوم فرعون ( فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطبروا بموسى ومن معه ) الآية وقال تعالى ( وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك \* قل كل من عند الله ) أى بقضائه وقدره ، وقال تعالى مخبرا عن أهل القرية إذ جاءها المرسلون ( قالوا إنا تطيرنا بكم لننظرن ما تنتهون الرجمكم وليمسكن منّا عذاب أليم قالوا طائركم معكم ) الآية وقال هؤلاء ( اطيننا بك وبمن معك قال طائركم عند الله ) أى الله يجازيكم على ذلك ( بل أنتم قوم تفتنون ) قال قتادة تبتلون بالطاعة والمعصية. والظاهر أن المراد بقوله ( تفتنون ) أى تستدرجون فيما أتم فيه من الضلال

﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ \* قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ \* وَمَكَرُوا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ \* فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ \* فَتِلْكَ بَيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ \* وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿

يخبر تعالى عن طغاة ثمود وراء وسهم الذين كانوا دعاة قومهم إلى الضلال والكفر وتكذيب صالح وآل بهم الحال إلى أنهم عقروا الناقة وهما يقتل صالح أيضاً بأن بيئته في أهله ليلا فيقتلوه غيلة ثم يقولوا لأوليائه من أقربيه إنهم ما علموا بشيء من أمره وإنهم لصادقون فيما أخبروهم به من أنهم لم يشاهدوا ذلك فقال تعالى ( وكان في المدينة ) أى مدينة ثمود ( تسعة رهط ) أى تسعة نفر ( يفسدون في الأرض ولا يصلحون ) وإنما غلب هؤلاء على أمر ثمود لأنهم كانوا كبارهم ورؤساءهم قال العوفي عن ابن عباس : هؤلاء هم الذين عقروا الناقة أى الذين صدر ذلك عن رأيهم ومشورتهم قبضهم الله ولعنهم وقد فعل ذلك وقال السدي عن أبي مالك عن ابن عباس : كان أسماء هؤلاء التسعة دعى ودعى وهما وهريم وداب وصواب ورباب ومسطح وقدار بن سالف عاقر الناقة أى الذى باشر ذلك بيده ، قال الله تعالى ( فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر ) وقال تعالى ( إذ انبعث أشقاها ) وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر بن ربيعة الصنعاني سمعت عطاء - هو ابن أبي رباح - يقول ( وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ) قال كانوا يقرضون الدراهم يعنى أنهم كانوا يأخذون منها وكأنهم كانوا يتعاملون بها عددا كما كان العرب يتعاملون . وقال الإمام مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه قال قطع الذهب والورق من الفساد في الأرض ، وفي الحديث الذى رواه أبو داود وغيره أن رسول الله ﷺ نهى عن كسر سكة المسلمين الجائزة بينهم إلا من بأس والغرض أن هؤلاء الكفرة الفسقة كان من صفاتهم الافساد في الأرض بكل طريق يقدرون عليها فمنها ما ذكره هؤلاء الأئمة وغير ذلك . وقوله تعالى ( قالوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ) أى تحالفوا وتبايعوا على قتل نبي الله صالح عليه السلام من لقيه ليلا غيلة ، فكادهم الله وجعل الدائرة عليهم ، قال مجاهد تقاسموا وتحالفوا على هلاكه فلم يصلوا إليه حتى هلكوا وقومهم أجمعين ، وقال قتادة تواقفوا على أن يأخذوه ليلا فيقتلوه ، وذكر لنا أنهم بينا هم معانق إلى صالح ليفتكوا به إذ بعث الله عليهم صخرة فأهدتهم ، قال

العوفى عن ابن عباس : هم الذين عقروا الناقة قالوا: حين عقروها لبيتين صالحا وأهله فنقتلهم ثم تقول لأولياء صالح ما شهدنا من هذا شيئا وما لنا به من علم فدمرهم الله أجمعين. وقال محمد بن إسحق قال هؤلاء التسعة بعد ما عقروا الناقة هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا عجلناه قبلنا وإن كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته فأتوه ليلا لبيتوته في أهله فدمتتهم للملائكة بالحجارة ، فلما أبطأوا على أصحابهم أتوا منزل صالح فوجدوهم منشدخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا الصالح أنت قتلتهم ثم هموا به فقامت عشيرته دونه ولبسوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبدا وقد وعدكم أن العذاب نازل بكم في ثلاث فان كان صادقا فلا تزيدوا ربكم عليكم غضبا ، وإن كان كاذبا فأتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك وقال عبد الرحمن بن أبي حاتم : لما عقروا الناقة قال لهم صالح ( تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ) قالوا زعم صالح أنه يفرغ منا إلى ثلاثة أيام فنحن نفرغ منه وأهله قبل ثلاث وكان لصالح مسجد في الحجر عند شعب هناك يصلى فيه فخرجوا إلى كهف أى غار هناك ليلا فقالوا إذا جاء يصلى قتلناه ثم رجعنا إذا فرغنا منه إلى أهله ففرغنا منهم فبعث الله عليهم صخرة من المهضب حياهم فخشوا أن تشدخهم فتبادروا فانطبقت عليهم الصخرة وهم في ذلك الغار فلا يدري قومهم أين هم ، ولا يدرون ما فعل بقومهم : فعذب الله هؤلاء ههنا وهؤلاء ههنا وأنجى الله صالحا ومن معه ثم قرأ ( ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون \* فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين \* فتلك بيوتهم خاوية ) أى فارغة ليس فيها أحد ( بما ظلموا إن في ذلك لآية لقوم يعلمون \* وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون )

﴿ وَلَوْ طَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ \* أَنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ \* فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ \* فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَاهَا مِنَ الْمُعْجِرِينَ \* وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴾

يخبر تعالى عن عبده ورسوله لوط عليه السلام أنه أنذر قومه تقية الله بهم في فعلهم الفاحشة التي لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم وهى إتيان الذكور دون الإناث وذلك فاحشة عظيمة استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فقال ( أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون ) أى يرى بعضكم بعضا وتأتون في ناديكم المنكر ( أنتم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون ) أى لا تعرفون شيئا لاطبعا ولا شرعا كما قال فى الآية الأخرى ( أتأتون الذكور من العالمين وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون ) ( فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون ) أى يتخرجون من فعل ما تفعلونه ومن إقراركم على صنعكم فأخرجوهم من بين أظهركم فانهم لا يصلحون لمجاورتكم فى بلادكم فعزموا على ذلك فدمر الله عليهم وللكافرين أمثالها ، قال الله تعالى ( فأنجيناه وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين ) أى من المالكين مع قومها لأنها كانت ردهم إلى دينهم وعلى طريقتهم فى رضاها بأفعالهم القبيحة فكانت تدل قومها على ضياع لوط ليأتوا إليهم لا أنها كانت تفعل الفواحش تكريما لنبى الله ﷺ لا كرامة لها وقوله تعالى ( وأمطرنا عليهم مطرا ) أى حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هى من الظالمين يبيعد ولهذا قال ( فساء مطر المنذرين ) أى الذين قامت عليهم الحجة ووصل إليهم الانذار فخالفوا الرسول وكذبوه وهو ما يخرجهم من بينهم

﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ۗ اللَّهُ خَيْرٌ مَّا يُشْرِكُونَ \* أَمِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ۗ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ ۗ

## بَلِّغْهُمْ قَوْمَهُمْ يَمْدِلُونَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى أمرأ رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول ( الحمد لله ) أى على نعمه على عباده من النعم التي لا تعد ولا تحصى وعلى ما اتصف به من الصفات العلى والأسماء الحسنى ، وأنت يسلم على عباد الله الذين اصطفاهم واختارهم وهم رسله وأنبياؤه الكرام ، عليهم من الله أفضل الصلاة والسلام هكذا قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغيره : إن المراد بعباده الذين اصطفى ، هم الأنبياء قال وهو كقوله ( سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ) : وقال الثوري والسدي هم أصحاب محمد ﷺ ورضى عنهم أجمعين وروى نحوه عن ابن عباس أيضاً ولا منافاة فانهم إذا كانوا من عباد الله الذين اصطفى فالأنبياء بطريق الأولى والأخرى . والقصد أن الله تعالى أمر رسوله ومن اتبعه بعد ذكره لهم ما فعل بأوليائه من النجاة والنصر والتأييد وما أحل بأعدائه من الخزي والنكال والقهر ، أن يمدوه على جميع أفعاله ، وأن يسلموا على عباده المصطفين الأخيار . وقد قال أبو بكر البرزاني حدثنا محمد بن عمار بن عمار بن صبيح حدثنا طلق بن غنم حدثنا الحكم بن ظهير عن السدي عن أبي مالك عن ابن عباس ( وسلام على عباده الذين اصطفى ) قال هم أصحاب محمد ﷺ اصطفاهم الله لنبيه رضى الله عنهم وقوله تعالى ( آله خير أم ما يشركون ) استفهام إنكار على المشركين في عبادتهم مع الله آلهة أخرى . ثم شرع تعالى يبين أنه المنفرد بالخلق والرزق والتدبير دون غيره فقال تعالى ( أمن خلق السموات ) أى خلق تلك السموات في ارتفاعها وصفاتها . وما جعل فيها من السكاكب النيرة والنجوم الزاهرة والأفلاك الدائرة . وخلق الأرض في استفاها وكثافتها وما جعل فيها من الجبال والأطواد والسهول والأوعار ، والفيافي والقفار ، والزروع والأشجار ، والثمار والبحار ، والحيوان على اختلاف الأصناف والأشكال والألوان وغير ذلك . وقوله تعالى ( وأنزل لكم من السماء ماء ) أى جعله رزقاً للعباد ( فأنتنباها حدائق ) أى بساتين ( ذات بهجة ) أى منظر حسن وشكل بهي ( ما كان لكم أن تنتبوا شجرها ) أى لم تكونوا تقدر على إنبات أشجارها . وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق المستقل بذلك للتفرد به دون ما سواه من الأصنام والأنداد كما يعترف به هؤلاء المشركون كما قال تعالى في الآية الأخرى ( ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ) ( ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأجيبنا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله ) أى هم معترفون بأنه الفاعل لجميع ذلك وحده لا شريك له ثم هم يعبدون معه غيره مما يعترفون أنه لا يخلق ولا يرزق ، وإنما يستحق أن يفرده بالعبادة ، من هو المنفرد بالخلق والرزق ولهذا قال تعالى ( أإله مع الله ؟ ) أى إله مع الله يعبد ، وقد تبين لكم ولكل ذى لب مما يعترفون به أيضاً أنه الخالق الرازق . ومن المفسرين من يقول معنى قوله ( أإله مع الله ) فعل هذا وهو يرجع إلى معنى الأول لأن تقدير الجواب أنهم يقولون ليس ثم أحد فعل هذا معه بل هو المنفرد به فيقال فكيف تعبدون معه غيره وهو المستقل المنفرد بالخلق والرزق والتدبير ؟ كما قال تعالى ( أمن يخلق كمن لا يخلق ) الآية . وقوله تعالى ههنا ( أمن خلق السموات والأرض ) ( أمن ) في هذه الآيات كلها تقديره أمن يفعل هذه الأشياء كمن لا يقدر على شيء منها ؟ هذا معنى السياق وإن لم يذكر الآخر لأن في قوة الكلام ما يرشد إلى ذلك . وقد قال الله تعالى ( آله خير أم ما يشركون ) ثم قال في الآية الأخرى ( بل هم قوم يعدلون ) أى أى يجعلون لله عدلاً ونظيراً . وهكذا قال تعالى ( أمن هو قانت آناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ) أى أمن هو هكذا كمن ليس كذلك ؟ ولهذا قال تعالى ( قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب ) ( أمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين ) وقال تعالى ( أمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ) أى أمن هو شهيد على أفعال الخلق حركاتهم وسكناتهم يعلم الغيب جليله وحقيقته كمن هو لا يعلم ولا يسمع ولا يبصر من هذه الأصنام التي عبدوها من دون الله ؟ ولهذا قال ( وجعلوا لله شركاء قل سمواهم ) وهكذا هذه الآيات الكريمة كلها .

﴿ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلْفَهَا أَنهْرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًّا وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَمْ آءَلَهُ  
مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

يقول تعالى ( أمن جعل الأرض قراراً ) أى قارصاً كنه ثابتة لا تميد ولا تتحرك بأهلها ولا ترجف بهم فانها لو كانت كذلك لما طاب عليها العيش والحياة بل جعلها من فضله ورحمته مهاداً بساطاً ثابتة لا تنزل ولا تتحرك كما قال تعالى فى الآية الأخرى ( الله الذى جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً ) ( وجعل خيلها أنهاراً ) أى جعل فيها الأنهار العذبة الطيبة شقفاً فى خيلها وصرقها فيها ما بين أنهار كبار وصغار وبين ذلك ، وسيرها شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً بحسب مصالح عباده فى أقاليمهم وأقطارهم حيث ذرأهم فى أرجاء الأرض وسير لهم أرزاقهم بحسب ما يحتاجون اليه ( وجعل لها رواسي ) أى جبالاً شامخة ترسى الأرض وتثبتها لئلا تميد بهم ( وجعل بين البحرين حاجزاً ) أى جعل بين أليلها العذبة والمالحة حاجزاً أى مانعاً يمنعها من الاختلاط لئلا يفسد هذا بهذا وهذا بهذا فان الحكمة الإلهية تقتضى بقاء كل منهما على صفته المقصودة منه فان البحر الحلو هو هذه الأنهار السارحة الجارية بين الناس والمقصود منها أن تكون عذبة زلالاً يسقى الحيوان والنبات والثمار منها . والبحار المالحة هى المحيطة بالأرجاء والأقطار من كل جانب والمقصود منها أن يكون ماؤها ملحاً أجاباً لئلا يفسد الهواء بريحها كما قال تعالى ( وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجراً محجوراً ) ولهذا قال تعالى ( أإله مع الله ؟ ) أى فعل هذا أو يعبد على القول الأول والأخر ؟ وكلاهما متلازم صحيح ( بل أكثرهم لا يعلمون ) أى فى عبادتهم غيره .

﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَمْ آءَلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴾

ينبه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد ، المرجو عند النوازل كما قال تعالى ( وإذ امسك الضر فى البحر ضل من تدعون إلا إياه ) وقال تعالى ( ثم إذ امسك الضر فإليه تجأرون ) وهكذا قال ههنا ( أمن يجيب المضطر إذا دعاه ) أى من هو الذى لا يلجأ للمضطر إلا إليه ، والذى لا يكشف ضر المضرورين سواه . قال الإمام أحمد أنبأنا عفان أنبأنا وهيب أنبأنا خالد الخذاء عن أبى تيممة المهجيمى عن رجل من بلهيم قال : قلت يارسول الله إلام تدعو ؟ قال « أدعو إلى الله وحده الذى إن مسك ضر فدعوته كشف عنك ، والذى إن أضلت بأرض قفر فدعوته رد عليك ، والذى إن أصابتك سنة فدعوته أنبت لك » قال : قلت أوصنى ، قال « لاتسبن أحدا ولا تزهدن فى المعروف ، ولو أن تلقى أخاك وأنت منبسط إليه وجهك ، ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستقى ، واتزر إلى نصف الساق فان آبيت فالى الكعبيين . وإياك وإسبال الأزار فان إسبال الأزار من الخيلة وإن الله لا يحب الخيلة » وقد رواه الإمام أحمد من وجه آخر فذكر اسم الصحابى فقال : حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس هو ابن عبيد حدثنا عبيدة المهجيمى عن أبىه عن أبى تيممة المهجيمى عن جابر بن سليم المهجيمى قال : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محتب بشملة وقد وقع هديه على قدميه فقلت : أياكم محمد رسول الله ؟ فأومأ بيده إلى نفسه ، فقلت يارسول الله أنا من أهل البادية وفى جفاؤهم فأوصنى قال « لاتحقرن من المعروف شيئا ، ولو أن تلقى أخاك ووجهك منبسط ولو أن تفرغ من دلوك فى إناء المستقى وإن امرؤ شتمك بما يعلم فىك فلا تشتمه بما تعلم فيه فانه يكون لك أجره وعليه وزره ، وإياك وإسبال الأزار فان إسبال الأزار من الخيلة وإن الله لا يحب الخيلة ، ولاتسبن أحدا » قال فمأسبت بعده أحدا ولا شاة ولا بعيرا . وقدروى أبوداود والنسائى لهذا الحديث طرفا وعندهما طرف صالح منه . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا على بن هشام حدثنا عبدة ابن نوح عن عمر بن الحجاج عن عبيد الله بن أبى صالح قال : دخل على طاوس يعودنى فقلت له : ادع الله لى يا أبا عبد الرحمن فقال ادع لنفسك فانه يجيب المضطر إذا دعاه ، وقال وهب بن منبه قرأت فى الكتاب الأول إن الله تعالى يقول : يعزنى إنه من اعتصم بى فإن كادته السموات بمن فيهن والأرض بمن فيهن فانى أجعل له من بين ذلك مخرجاً

ومن لم يعتصم بي فإني أخسف به من تحت قدميه الأرض فأجعله في الهواء فأكله إلى نفسه وذكر الحافظ ابن عساکر في ترجمة رجل حكى عنه أبو بكر محمد بن داود الدينوري المعروف بالدقي الصوفي قال هذا الرجل كنت أكارى على بعل لي من دمشق إلى بلد الزبداني فركب معي ذات مرة رجل فمررنا على بعض الطريق على طريق غير مسلوكة فقال لي خذ في هذه فانها أقرب فقلت لاخيرة لي فيها ، فقال بل هي أقرب فسلكناهما فاتفينا إلى مكان وعرو وواد عميق وفيه قتلى كثيرة فقال لي أمسك رأس البعل حتى أنزل فزله وتشمرو وجمع عليه ثيابه وسل سكيننا معه وقصدني ففررت من بين يديه وتبعني فناشدته الله وقلت خذ البعل بما عليه فقال هو لي وإنما أريد قتلك فخوفته الله والعقوبة فلم يقبل فاستسلمت بين يديه وقلت إن رأيت أن تركني حتى أصلي ركعتين فقال :عجل فقامت أصلي فأرتج على القرآن فلم يحضرنى منه حرف واحد فبقيت واقفا متحيرا وهو يقول هيه افرغ فأجرى الله على لساني قوله تعالى ( أمن يجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ) فإذا أنا بفارس قد أقبل من فم الوادي ويده حربة فرمى بها الرجل فسا أخطأت فواده فخر صريعا فتعلقت بالفارس وقلت بالله من أنت ؟ فقال أنا رسول الذي يجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء . قال فأخذت البعل والحمل ورجعت سالما . وذكر في ترجمة فاطمة بنت الحسن أم أحمد العجلية قالت : هزم الكفار يوما المسلمين في غزاة فوق جواد جيد بصاحبه وكان من ذوى اليسار ومن الصلحاء فقال للجواد مالك ويملك إنما كنت أعدك لمثل هذا اليوم فقال له الجواد ومالى لا أقصر وأنت تسكل العلوقة إلى السواس فيظلمونى ولا يطعمونى إلا القليل ؟ فقال لك على عهد الله أنى لا أعلفك بعد هذا اليوم إلا فى حجرى فجرى الجواد عند ذلك ونجى صاحبه وكان لا يعلفه بعد ذلك إلا فى حجره ، واشتهر أمره بين الناس وجعلوا يقصدونه ليسمعوا منه ذلك وبلغ ملك الروم أمره فقال : ما تضام بلدة يكون هذا الرجل فيها . واحتال ليحصله فى بلده فبعث إليه رجلا من المرتدين عنده فلما انتهى إليه أظهر له أنه قد حسنت نيته فى الإسلام وقومه حتى استوثق ثم خرجا يوما يمشيان على جنب الساحل وقد واعد شخصا آخر من جهة ملك الروم ليتساعدا على أسره فلما اكتشفاه ليأخذه رفع طرفه إلى السماء وقال : اللهم إنه إنما خدعنى بك فاكفنيهما بما شئت . قال فخرج سبعان فأخذاهما ورجع الرجل سالما . وقوله تعالى ( ويجعلكم خلفاء الأرض ) أى يخلف قرنا لقرن قبلهم وخلفا لسلف كما قال تعالى ( إن يشأ يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ) وقال تعالى ( وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضهم فوق بعض درجات ) وقال تعالى ( وإذا قال ربك للملائكة إني جاعل فى الأرض خليفة ) أى قوما يخلف بعضهم بعضا كما قدمنا تقريره وهكذا هذه الآية ( ويجعلكم خلفاء الأرض ) أى أمة بعد أمة وجيلا بعد جيل وقوما بعد قوم ولو شاء لأوجدكم كلهم فى وقت واحد ويجعل بعضهم من ذرية بعض بل لو شاء لخلقهم كلهم أجمعين كما خلق آدم من تراب ولو شاء أن يجعلهم بعضهم من ذرية بعض ولكن لا يبيت أحدا حتى تكون وفاة الجميع فى وقت واحد لكانت تضيق عنهم الأرض وتضيق عليهم معاشهم وأكسابهم ويتضرر بعضهم ببعض ولكن اقتضت حكمته وقدرته أن يخلقهم من نفس واحدة ثم يكثرهم غاية الكثرة وينزأهم فى الأرض ويجعلهم قرونا بعد قرون وأما بعد أمم حتى يقضى الأجل وتفرغ البرية كما قدر ذلك تبارك وتعالى وكما أحصاهم وعدهم غدا ثم يقيم القيامة ويوفى كل عامل عمله إذا بلغ الكتاب أجله ولهذا قال تعالى ( أمن يجب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض إله مع الله ) أى يقدر على ذلك أو إله مع الله بعد هذا وقد علم أن الله هو المتفرد بفعل ذلك وحده لا شريك له ؟ ( قليلا ما تذكرون ) أى ما أقل تذكرهم فيما يرشدهم إلى الحق ويهديهم إلى الصراط المستقيم

﴿ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَعَلَّاهُ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾

يقول تعالى ( أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ) أي بما خلق من الدلائل السبوية والأرضية كما قال تعالى ( وعلامات وبالنجم هم يهتدون ) وقال تعالى ( وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ) الآية ( ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ) أي بين يدي السحاب الذي فيه مطر يفيض الله به عباده المجدبين الأزلين القنطين ( إله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون )

﴿ أَمَّنْ يَبْدُوْا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيْدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ مَعَ اللَّهِ قُلُوبٌ هَاتُوا بِرُءُوسِهِمْ كَذَّبُوا وَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾

أى هو الذى بقدرته وسلطانه يبدأ الخلق ثم يعيده كما قال تعالى فى الآية الأخرى ( إن بطش ربك لشديد \* إنه هو يبدى ويعيد ) وقال تعالى ( وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ) ( ومن يرزقكم من السماء والأرض ) أى بما ينزل من مطر السماء وينبت من بركات الأرض كما قال تعالى ( والسماء ذات الرجح \* والأرض ذات الصدع ) وقال تعالى ( يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ) فهو تبارك وتعالى ينزل من السماء ماء مباركا فيسلكه ينابيع فى الأرض ثم يخرج به منها أنواع الزروع والثمار والأزهار وغير ذلك من ألوان شتى ( كلوا واربعوا أنعامكم إن فى ذلك لآيات لأولى النهى ) ولهذا قال تعالى ( إله مع الله ) أى فعل هذا وعلى القول الآخر بعد هذا ( قل هاتوا برهانكم ) على صحة ما تدعونه من عبادة آلهة أخرى ( إن كنتم صادقين ) فى ذلك وقد علم أنه لا حجة لهم ولا برهان كما قال تعالى ( ومن يدع مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون )

﴿ قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ \* بَلِ أَدْرَكَ عَلَيْهِمُ فِي الْآخِرَةِ بَلٌ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ ﴾

يقول تعالى أمراً رسوله ﷺ أن يقول معلماً لجميع الخلق أنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب إلا الله . وقوله تعالى ( إلا الله ) استثناء منقطع أى لا يعلم أحد ذلك إلا الله عز وجل فانه المنفرد بذلك وحده لا شريك له كما قال تعالى ( وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ) الآية وقال تعالى ( إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ) إلى آخر السورة ، والآيات فى هذا كثيرة ، وقوله تعالى ( وما يشعرون أيان يبعثون ) أى وما يشعر الخلاق الساكنون فى السموات والأرض بوقت الساعة كما قال تعالى ( ثقلت فى السموات والأرض لآياتيكم إلا بغتة ) أى ثقلت عليها على أهل السموات والأرض . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا علي بن الجعد حدثنا أبو جعفر الرازى عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت : من زعم أنه يعلم — يعنى النبى صلى الله عليه وسلم — ما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية لأن الله تعالى يقول ( قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله ) وقال قتادة إنما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال : جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوما للشياطين ، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به . وإن أناساً جهلة بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة ، من أعرض بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ولعمري ما من نجم إلا يولد به الأحمر والأسود والقصير والطويل والحسن والدميم ، وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشىء من الغيب ، وقضى الله تعالى أنه لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله وما يشعرون أيان يبعثون . رواه ابن أبي حاتم عنه بحروفه

وهو كلام جليل متين صحيح وقوله (بل ادرك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها) أى انتهى علمهم وعجز عن معرفة وقتها وقرأ آخرون (بل أدرك علمهم) أى تساوى علمهم فى ذلك كما فى الصحيح لمسلم أن رسول الله ﷺ قال لجبريل وقد سأله عن وقت الساعة « ما المسئول عنها بأعلم من السائل » أى تساوى فى العجز عن درك ذلك علم المسئول والسائل ، قال طلى بن أبى طلحة عن ابن عباس (بل ادرك علمهم فى الآخرة) أى غاب ، وقال قتادة (بل ادرك علمهم فى الآخرة) يعنى مجهلهم بربهم ، يقول لم ينفذ لهم علم فى الآخرة . هذا قول ، وقال ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس (بل ادرك علمهم فى الآخرة) حين لم ينفذ العلم ، وبه قال عطاء الخراسانى والسدى أن علمهم إنما يدرك ويكمل يوم القيامة حيث لا ينفذهم ذلك كما قال تعالى ( أسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين ) وقال سفيان عن عمرو بن عبيد عن الحسن أنه كان يقرأ ( بل أدرك علمهم ) قال اضمحل علمهم فى الدنيا حين عاينوا الآخرة وقوله تعالى ( بل هم فى شك منها ) عائد على الجنس والمراد الكافرون كما قال تعالى ( وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً ) أى الكافرون منكم وهكذا قال ههنا ( بل هم فى شك منها ) أى شاكون فى وجودها ووقوعها ( بل هم منها عمون ) أى فى عمية وجهل كبير فى أمرها وشأنها

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَّءِآبَاؤُنَا أَنَّا لَمُخْرَجُونَ \* لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَّءِآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ \* قُل سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ \* وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن منكرو البعث من المشركين أنهم استبعدوا إعادة الأجساد بعد صيرورتها عظاماً ورفاتا وتراباً ثم قال (لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل) أى ما زلنا نسمع بهذا نحن وآباؤنا ولا نرى له حقيقة ولا وقوعاً ، وقولهم (إن هذا إلا أساطير الأولين) يعنون ما هذا الوعد بإعادة الأبدان (إلا أساطير الأولين) أى أخذه قوم عن قبلهم من كتب يتلقاه بعض عن بعض وليس له حقيقة ، قال الله تعالى مجيباً لهم عما ظنوه من الكفر وعدم العاد (قل) يا محمد لهؤلاء (سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أى المكذبين بالرسول وبما جاءهم به من أمر المعاد وغيره كيف حلت بهم نعمة الله وعدابه ونكاله ونجى الله من بينهم رسله الكرام ومن اتبعهم من المؤمنين فدل ذلك على صدق ما جاءت به الرسل وصحته ، ثم قال تعالى مسلماً لنبيه ﷺ (ولا تحزن عليهم) أى المكذبين بما جئت به ولا تأسف عليهم وتذهب نفسك عليهم حسرات (ولا تكن فى ضيق مما يمكرون) أى فى كيدك ورد ما جئت به فإن الله مؤيدك وناصرك ومظهر دينك على من خالفه وعانده فى المشرق والمغرب

﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ \* قُلْ عَسَى أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ \* وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ \* وَمِمَّا مِنْ غَاثِيبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن المشركين فى سؤالهم عن يوم القيامة واستبعادهم وقوع ذلك (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين؟) قال الله تعالى مجيباً لهم (قل) يا محمد (عسى أن يكون ردف لكم بعض الذى تستعجلون) قال ابن عباس أن يكون قرب أو أن يقرب لكم بعض الذى تستعجلون ، وهكذا قال مجاهد والضحاك وعطاء الخراسانى وقاتدة

والسدى وهذا هو المراد بقوله تعالى (ويقولون متى هو؟ قل عسى أن يكون قريبا) وقال تعالى (ويستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة بالكافرين) وإنما دخلت اللام في قوله (ردف لكم) لأنه ضمن معنى عجل لكم كما قال مجاهد في رواية عنه (عسى أن يكون ردف لكم) عجل لكم

ثم قال الله تعالى (وإن ربك لندو فضل على الناس) أى في إسباغه نعمه عليهم مع ظلمهم لأنفسهم وهم مع ذلك لا يشكرونه على ذلك إلا القليل منهم (وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) أى يعلم الضائر والسرائر كما يعلم الظواهر (سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) (يعلم السر وأخفى) (ألا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون) ثم أخبر تعالى بأنه عالم غيب السموات والأرض وأنه عالم الغيب والشهادة وهو ما غاب عن العباد وما شاهدوه فقال تعالى (وما من غائبة) قال ابن عباس يعنى وما من شيء (في السماء والأرض إلا في كتاب مبين) وهذه كقوله (ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير)

﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْقُصُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وَإِنَّهُ لَهْدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ \* إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ \* فَتَوَكَّلْ عَلَىٰ اللَّهِ إِنَّكَ عَلَىٰ الْحَقِّ الْمُبِينِ \* إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ أَلْمُوتَىٰ وَلَا تَسْمَعُ أَلْصَمَّ الدُّعَاءِ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ \* وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَنِ صَلَاتِهِمْ إِنَّ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿

يقول تعالى مخبرا عن كتابه العزيز وما اشتمل عليه من الهدى والبيان والفرقان أنه يقص على بنى إسرائيل وهم حملة التوراة والإنجيل (أكثر الذى هم فيه يختلفون) كاختلافهم في عيسى وتباينهم فيه فاليهود افتروا والنصارى غلووا فجاء القرآن بالقول الوسط الحق العدل أنه عبد من عباد الله وأنبياؤه ورسوله الكرام، عليه أفضل الصلاة والسلام، كما قال تعالى (ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون) وقوله (وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين) أى هدى لقلوب المؤمنين به ورحمتهم في العمليات. ثم قال تعالى (إن ربك يقضى بينهم) أى يوم القيامة (بحكمه وهو العزيز) أى فى انتقامه (العليم) بأفعال عباده وأقوالهم (فتوكل على الله) أى فى جميع أمورك وبلغ رسالة ربك (إنك على الحق المبين) أى أنت على الحق اللين وإن خالفك من خالفك ممن كتبت عليه الشقاوة، حقت عليهم كلمة ربك أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية، ولهذا قال تعالى (إنك لا تسمع الموتى) أى لا تسمعهم شيئا ينفعهم فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة وفى آذانهم وقر الكفر ولهذا قال تعالى (ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين) وما أنت بهادى العمى عن ضلالهم \* إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) أى إنما يستجيب لك من هو صميع بصير السمع والبصر النافع فى القلب والبصيرة الخاضع لله ولما جاء عنه على السنة الرسل عليهم السلام

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾

هذه الدابة تخرج فى آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، يخرج الله لهم دابة من الأرض قيل من مكة وقيل من غيرها كما سيأتى تفصيله إن شاء الله تعالى فتكلم الناس على ذلك، قال ابن عباس والحسن وقتادة ويروى عن على رضى الله عنه تكلمهم كلاما أى تخاطبهم مخاطبة وقال عطاء الخراسانى تكلمهم فتقول لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون. ويروى هذا عن على واختاره ابن جرير وفى هذا القول نظر لا يخفى والله أعلم. وقال ابن عباس فى رواية تخرجهم، وعنه رواية قال. كلاً تفعل يعنى هذا وهذا وهو قول حسن ولا منافاة والله أعلم، وقد ورد فى ذكر الدابة أحاديث وآثار كثيرة فلنذكر منها ما تيسر والله المستعان. قال الإمام أحمد حدثنا سفيان عن

قراة عن أبي الطفيل عن حذيفة بن أسيد الغفارى قال : أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم من غرفة ونحن تنذاكر أمر الساعة فقال « لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم عليه السلام والدجال ، وثلاثة خسوف : خسف بالمغرب وخسف بالمشرق وخسف بجزيرة العرب ، ونا تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا » وهكذا رواه مسلم وأهل السنن من طرق عن قرات القزاز عن أبي الطفيل عامر بن وائلة عن حذيفة مرفوعاً ، وقال الترمذى حسن صحيح . ورواه مسلم أيضاً من حديث عبد العزيز بن رفيع عن أبي الطفيل عنه موقوفاً قاله أعلم ﴿ طريق أخرى ﴾ قال أبو داود الطيالسى عن طلحة بن عمرو وجريير بن حازم ، فأما طلحة فقال أخبرني عبد الله بن عبيد الله بن عمير الليثى أن أبا الطفيل حدثه عن حذيفة بن أسيد الغفارى أني سريحة ، وأما جريير فقال عن عبد الله بن عبيد عن رجل من آل عبد الله بن مسعود . وحديث طلحة أتم وأحسن قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة فقال « لها ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خرقة من أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية - يعنى مكة - ثم تكمن زمنا طويلا ثم تخرج خرقة أخرى دون تلك فيعلو ذكرها في أهل البادية ويدخل ذكرها القرية » يعنى مكة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثم بينا الناس في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهى ترغويين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب فارفض الناس عنها شتى ومعا ، وبقيت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لم يعجزوا الله فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى جعلتها كأنها الكوكب الدرى وولت فى الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأنيه من خلفه فتقول : يا فلان الآن تصلى فيقبل عليها فتسمه فى وجهه ثم تنطلق ويشترك الناس فى الأموال ويضطجبون فى الأمصار يعرف المؤمن من الكافر حتى إن المؤمن ليقول يا كافر اقضى حتى وحتى إن الكافر ليقول يا مؤمن اقضى حتى » ورواه ابن جرير من طريقين عن حذيفة بن أسيد موقوفاً والله أعلم . ورواه من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعاً ، وأن ذلك فى زمان ابن مريم وهو يطوف بالبيت ولكن إسناده لا يصح (حديث آخر) قال مسلم بن الحجاج حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن بشر عن أبي حيان عن أبي زرعة عن عبد الله بن عمرو قال : حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها ، وخروج الدابة على الناس ضحى ، وأيتهما كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريباً » (حديث آخر) روى مسلم فى صحيحه من حديث العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب مولى الحرقة عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « بادروا بالأعمال ستا : طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخاصة أحدكم وأمر العامة » تفرد به وله من حديث قتادة عن الحسن عن زياد بن رباح عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال « بادروا بالأعمال ستا : الدجال والدخان ودابة الأرض وطلوع الشمس من مغربها وأمر العامة وخويصة أحدكم » . (حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا حرمة ابن يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الجارث وابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن سنان بن سعيد عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « بادروا بالأعمال ستا : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والدابة والدجال وخويصة أحدكم وأمر العامة » تفرد به . (حديث آخر) قال أبو داود الطيالسى حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أويس بن خالد عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام فتحطم أنف الكافر بالعصا ويحلى وجه المؤمن بالخاتم حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر » ورواه الإمام أحمد عن بهز وعفان ويزيد بن هرون ثلاثهم عن حماد بن سلمة به ، وقال « فتحطم أنف الكافر بالخاتم ويحلى وجه المؤمن بالعصا حتى إن أهل الخوان الواحد ليجتمعون فيقول هذا يأمؤمن ويقول هذا ياكافر » ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يونس بن محمد المؤدب عن حماد بن سلمة به (حديث آخر) قال ابن ماجه حدثنا أبو غسان محمد بن عمرو حدثنا أبو عملة حدثنا خالد بن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال : ذهب بي

رسول الله ﷺ إلى موضع بالبادية قريب من مكة فإذا أرض يابسة حولها رمل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تخرج الدابة من هذا الموضع » فإذا فتر في شبر قال ابن بريدة فحججت بعد ذلك بسنين فأرانا عصاً له فإذا هو بعصا هذه كذا وكذا . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة أن ابن عباس قال : هي دابة ذات زغب لها أربع قوائم تخرج من بعض أودية تهامة . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن رجاء حدثنا فضيل ابن مرزوق عن عطية قال : قال عبد الله تخرج الدابة من صدع من الصفا كجري الفرس ثلاثة أيام لم يخرج ثلثها ، وقال محمد بن إسحق عن أبان بن صالح قال : سئل عبد الله بن عمرو عن الدابة فقال الدابة تخرج من تحت صخرة بعياد والله لو كنت معهم أولوشئت بعصا الصخرة التي تخرج الدابة من تحتها . قيل فتصنع ماذا يا عبد الله بن عمرو فقال تستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذه ثم تروح من مكة فتصبح بعسفان قيل . ثم ماذا قال ثم لأعلم ، وعن عبد الله بن عمر أنه قال . تخرج الدابة ليلة جمع . رواه ابن أبي حاتم وفي إسناده ابن اليمان . وعن وهب بن منبه أنه حكى من كلام عزيز عليه السلام أنه قال : وتخرج من تحت سدوم دابة تكلم الناس كل يسمعها ، وتضع الحبالى قبل التمام ، ويعود الماء العذب أجاجاً ويتعادي الأخلاء وتحرق الحكمة ويرفع العلم وتكلم الأرض التي تليها ، وفي ذلك الزمان يرجو الناس مالا يلبثون ، ويتعبون فيم لا ينالون ، ويعملون فيما لا يأكلون رواه ابن أبي حاتم عنه . وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو صالح كاتب الليث حدثني معاوية بن صالح عن أبي مريم أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه يقول : إن الدابة فيها من كل لون ما بين قرنبا فرسخ للراكب ، وقال ابن عباس هي مثل الحربة الضخمة ، وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : إنها دابة لها ريش وزغب وحافر وما لها ذنب ولها لحية ، وإنها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثا وما خرج ثلثها رواه ابن أبي حاتم . وقال ابن جريج عن ابن الزبير إنه وصف الدابة فقال : رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها أذن فيل ، وقرنها قرن أيل ، وعنقها عنق نعامة ، وصدرها صدر أسد ، ولونها لون نمر ، وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير ، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً تخرج معها عصاموسى وخاتم سليمان فلا يبقى مؤمن إلا نكنت في وجهه بعصا موسى نكنة يضاء فنفشوا تلك النكنة حتى يبيض لها وجهه ، ولا يبقى كافر إلا نكنت في وجهه نكنة سوداء بخاتم سليمان فنفشوا تلك النكنة حتى يسود بها وجهه حتى إن الناس يتبايعون في الأسواق بكم ذابوا مؤمن بكم ذابوا كافر ؟ وحتى إن أهل البيت يجلسون على ما نكنتهم فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ، ثم تقول لهم الدابة يافلان أبشر أنت من أهل الجنة ؟ ويافلان أنت من أهل النار . فذلك قول الله تعالى ( وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون )

﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّابُنَا  
بِآيَاتِنَا وَلَمْ يُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَازَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ ﴾ أَمْ يَرَوْنَ  
أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُنَا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿

يقول تعالى مخبرا عن يوم القيامة وحشر الظالمين من المكذبين بآيات الله ورسوله إلى بين يدي الله عز وجل ليسألهم عما فعلوه في الدار الدنيا تقريرا وتوبيخا وتصغيرا وتحقيرا فقال تعالى ( ويوم نحشر من كل أمة فوجا ) أى من كل قوم وقرن فوجا أى جماعة ( ممن يكذب بآياتنا ) كما قال تعالى ( احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ) وقال تعالى ( وإذا النفوس زوجت ) وقوله تعالى ( فهم يوزعون ) قال ابن عباس رضي الله عنهما : يدفعون وقال قتادة : وزعة : ترد أولهم على آخرهم . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم : يساقون ( حتى إذا جاءوا ) ووقفوا بين يدي الله عز وجل في مقام المساءلة ( قال أكذبتم بآياتنا )

ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون ) أى فيستلون عن اعتقادهم وأعمالهم فلما لم يكونوا من أهل السعادة وكانوا كما قال الله عنهم ( فلا صدق ولا صلى \* ولكن كذب وتولى ) فحينئذ قامت عليهم الحجة ولم يكن لهم عذر يعتذرون به كما قال الله تعالى ( هدايوم لا ينطقون \* ولا يؤذن لهم فيعتذرون ) الآية وهكذا قال ههنا ( ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون ) أى بهتوا فلم يكن لهم جواب لأنهم كانوا فى الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم ، وقد ردوا إلى عالم الغيب والشهادة الذى لا تخفى عليه خافية . ثم قال تعالى منها على قدرته التامة وسلطانه العظيم وشأنه الرفيع الذى تجب طاعته والالتقاد لأوامره وتصديق أنبيائه فيما جاءوا به من الحق الذى لا محيد عنه فقال تعالى ( ألم يروا أنا جعلنا الليل ليلسكنوا فيه ) أى فى ظلام الليل لتسكن حركاتهم بسببه وتهدأ أنفاسهم ويستريحون من نصب التعب فى نهارهم ( والنهار مبصر ) أى منيرا مشرقا فبسبب ذلك يتصرفون فى المعاشى والمكاسب والأسفار والتجارات وغير ذلك من شئونهم التى يحتاجون إليها ( إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون )

﴿ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مِنَ السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَخْرِينَ \* وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّةً السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتَقَنَ كُلُّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ \* مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ \* وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْبَتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن هول يوم نفخة الفزع فى الصور وهو كما جاء فى الحديث قرن ينفخ فيه . وفى حديث الصور إن إسرائيل هو الذى ينفخ فيه بأمر الله تعالى فينفخ فيه أولا نفخة الفزع ويطولها وذلك فى آخر عمر الدنيا حين تقوم الساعة على شرار الناس من الأحياء فيفزع من فى السموات ومن فى الأرض ( إلا من شاء الله ) وهم الشهداء فانهم أحياء عند ربهم يرزقون قال الإمام مسلم بن الحجاج حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبرى حدثنا أبى حدثنا شعبة عن العناب ابن سالم سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى سمعت عبد الله بن عمرو رضى الله عنه وجاءه رجل فقال ما هذا الحديث الذى تحدث أن الساعة تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال سبحان الله؟ أولا إله إلا الله أو كلمة نحوها لقد هممت أن لا أحدث أحدا شيئا أبدا إنما قلت إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما يخرّب البيت ويكون ويكون - ثم قال - قال رسول الله ﷺ « يخرج الدجال فى أمى فيمكث أربعين - لا أدرى أربعين يوما أو أربعين شهرا أو أربعين عاما - فيبعث الله عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود فيطلبه فهلكه ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة ثم يرسل الله ريحا باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحداكم دخل فى كبد جبل لدخلته عليه حتى يقبضه » قال سمعتها من رسول الله ﷺ قال « فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا فيتمثل لهم الشيطان فيقول ألا تستجيون فيقولون فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم فى ذلك دار رزقهم حسن عيشهم ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لينا ورفع لينا - قال - وأول من يسمعه رجل يلو ط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله - أو قال ينزل الله - مطرا كأنه الطل - أو قال الظل ، شعبة الشاك - فنبت منه أجساد الناس ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون ثم يقال يا أيها الناس هلموا إلى ربكم وقفوا إنهم مسؤولون ثم يقال أخرجوا بعث النار فيقال من كم فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا وذلك يوم يكشف عن ساق » وقوله ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لينا ورفع لينا . اللبت هو صفحة العنق أى أمال عنقه ليستمعه من السماء جيدا فهذه نفخة الفزع ، ثم بعد ذلك نفخة الصعق وهو الموت ، ثم بعد ذلك نفخة القيام لرب العالمين وهو النشور من القبور لجميع

الخلائق ولهذا قال تعالى ( وكل أتوه داخرين ) قرى بلد وبغيره على الفعل وكل بمعنى واحد وداخرين أى صاغرين مطيعين لا يتخلف أحد عن أمره كما قال تعالى ( يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده ) وقال تعالى ( ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون ) وفي حديث الصور أنه في النفخة الثالثة يأمر الله الأرواح فتوضع في ثقب في الصور ثم ينفخ إسرافيل فيه بعد ما تنبت الأجساد في قبورها وأما كنها فإذا نفخ في الصور طارت الأرواح تتوهج أرواح المؤمنين نورا وأرواح الكافرين ظلمة فيقول الله عز وجل : وعزنى وجلالى لترجعن كل روح إلى جسدها . فتجىء الأرواح إلى أجسادها فتدب فيها كما يدب السم في اللدغ ثم يقومون ينفسون التراب من قبورهم قال الله تعالى ( يوم يخرجون من الأجداث سراعا كأنهم إلى نصب يوفضون ) وقوله تعالى ( وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرمر السحاب ) أى تراها كأنها ثابتة باقية على ما كانت عليه وهى تمرمر السحاب أى تزول عن أما كنها كما قال تعالى ( يوم تمور السماء مورا \* وتسير الجبال سيرا ) وقال تعالى ( ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا \* فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمنا ) وقال تعالى ( ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة ) وقوله تعالى ( صنع الله الذى أتقن كل شئ ) أى يفعل ذلك بقدرته العظيمة ( الذى أتقن كل شئ ) أى أتقن كل ما خلق وأودع فيه من الحكمة ما أودع ( إنه خير بما يفعلون ) أى هو عليم بما يفعل عباده من خير وشر وسيجازيهم عليه أتم الجزاء . ثم بين تعالى حال السعداء والأشقياء يومئذ فقال ( من جاء بالحسنة فله خير منها ) قال قتادة بالإخلاص وقال زين العابدين هى لا إله إلا الله وقديين تعالى فى الموضع الآخر أن له عشرأ أمثالها ( وهم من فزع يومئذ آمنون ) كما قال فى الآية الأخرى ( لا يحزنهم الفزع الأكبر ) وقال تعالى ( أفمن يلقى فى النار خير أم من أتى آمن يوم القيامة ) وقال تعالى ( وهم فى الغرفات آمنون ) وقوله تعالى ( ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار ) أى من لقي الله مسيئا لا حسنة له أو قدر جحت سيئاته على حسناته كل بحسبه ولهذا قال تعالى ( هل تجزون إلا ما كنتم تعملون ) وقال ابن مسعود وابن عباس وأبو هريرة رضى الله عنهم وأنس بن مالك وعطاء وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد وإبراهيم النخعي وأبو وائل وأبو صالح ومحمد ابن كعب وريد بن أسلم والزهرى والسدى والضحاك والحسن وقاتدة وابن زيد فى قوله ( ومن جاء بالسيئة ) يعنى بالشرك .

﴿ إِنَّمَا أَمْرٌ أَنْ أُعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرٌ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ \* وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدَىٰ لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ قُلٌّ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ \* وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ ؕ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾

يقول تعالى مخبرا رسوله وأمرأ له أن يقول ( إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذى حرمها وله كل شئ ) كما قال تعالى ( قل يا أيها الناس إن كنتم فى شك من دىنى فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذى يتوفاكم ) وإضافة الربوبية إلى البلدة على سبيل التشريف لها والاعتناء بها كما قال تعالى ( فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ) ؟ وقوله تعالى ( الذى حرمها ) أى الذى إنما صارت حراما شرعا وقدرأ بتحريمه لها كما ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة « إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمه الله إلى يوم القيامة ، لا يعضد شوكة ولا ينفر صيده ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ولا يخفى خلاها » الحديث بتمامه . وقد ثبت فى الصحاح والحسان والمسانيد من طرق جماعة نفي القطع كما هو مبين فى موضعه من كتاب الأحكام لله الحمد والمنة . وقوله تعالى : ( وله كل شئ ) من باب عطف العام على الخاص أى هو رب هذه البلدة ورب كل شئ . ومليكه لا إله إلا هو ( وأمرت أن أكون من المسلمين ) أى الموحدىن المخلصين النقادىن لأمره المطيعىن له . وقوله ( وأن أتلو القرآن ) أى على الناس

أبلغهم إياه كقوله تعالى ( ذلك تلاوه عليك من الآيات والله أكرم الحكيم ) وكقوله تعالى ( تتلو عليك من نبي موسى وفرعون بالحق ) الآية أي أنا مبلغ ومنذر ( فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فقل إنما أنا من المنذرين ) أي لى أسوة بالرسول الذين أنذروا قومهم وقاموا بما عليهم من أداء الرسالة إليهم وخلصوا من عهدتهم وحساب أهمهم على الله تعالى كقوله تعالى ( فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب ) وقال ( إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل ) ( وقال الحمد لله سيريك آياته فتعرفونها ) أي لله الحمد الذي لا يعذب أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه ، والانتذار إليه ، ولهذا قال تعالى ( سيريك آياته فتعرفونها ) كما قال تعالى ( سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ) وقوله تعالى ( وما ربك بغافل عما تعملون ) أي بل هو شهيد على كل شيء . قال ابن أبي حاتم ذكر عن أبي عمر الحوضي حفص بن عمر حدثنا أبو أمية بن يعلى التقي حدثنا سعيد بن أبي سعيد سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ « يا أيها الناس لا يفتن أحدكم بالله فإن الله لو كان غافلاً شيئاً لأغفل البعوضة والجرذلة والذرة » وقال أيضاً حدثنا محمد بن يحيى حدثنا نصر ابن علي قال أبي أخبرني عن خالد بن قيس عن مطر عن عمر بن عبد العزيز قال : فلو كان الله مغفلاً شيئاً لأغفل ما تعفى الرياح من أثر قدمي ابن آدم ، وقد ذكر عن الإمام أحمد رحمه الله تعالى أنه كان ينشد هذين البيتين إيمانه وإيمانه لغيره

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل \* خلوت ولكل قل على رقيب  
ولا تحسبن الله يغفل ساعة \* ولا أن ما يخفى عليه يغيب

آخر تفسير سورة النمل وقه الحمد والمنة

### ( تفسير سورة القصص وهي مكية )

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله حدثنا يحيى بن آدم حدثنا وكيع عن أبيه عن أبي إسحق عن معديكرب قال أتينا عبد الله فسألناه أن يقرأ علينا طسم المائتين فقال ما هي معي ولكن عليكم بمن أخذها من رسول الله ﷺ خباب بن الأرت قال : فأتينا خباب بن الأرت فقرأها علينا رضي الله عنه .

( بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ )

( طسم \* تلك آيات الكتاب المبين \* نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون \* إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحى نساءهم إنه كان من المفسدين \* ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين \* ونسكن لهم في الأرض ونرى فرعون ونرى فرعون وهمن وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون )

قد تقدم الكلام على الحروف المقطعة ، وقوله ( تلك ) أي هذه ( آيات الكتاب المبين ) أي الواضح الجلي الكاشف عن حقائق الأمور وعلم ما قد كان وما هو كائن . وقوله ( تتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق ) الآية كما قال تعالى ( نحن نقص عليك أحسن القصص ) أي نذكر لك الأمر على ما كان عليه كأنك تشاهد وكأنك حاضر ثم قال تعالى ( إن فرعون علا في الأرض ) أي تكبر ونجبر وطني ( وجعل أهلها شيعاً ) أي أصنافاً قد صرف كل صنف فيما يريد من أمور دولته وقوله تعالى ( يستضعف طائفة منهم ) يعني بني إسرائيل وكانوا في ذلك الوقت خيار أهل زمانهم ، هذا وقد سلط عليهم هذا الملك الجبار العنيد يستعملهم في أحسن الأعمال ، ويكدم ليلاً ونهاراً في أشغاله وأشغال رعيته ويقتل مع هذا أبناءهم ويستحى نساءهم إهانة لهم واحتقاراً وخوفاً من أن يوجد منهم الغلام الذي كان قد تخوف هو وأهل مملكته من أن يوجد منهم غلام يكون سبب هلاكه وذهاب دولته على يديه . وكانت القبط قد تلقوا هذا من بني إسرائيل فيما كانوا يدرسون من قول إبراهيم الخليل عليه السلام حين ورد الديار المصرية وجرى له مع جبارها